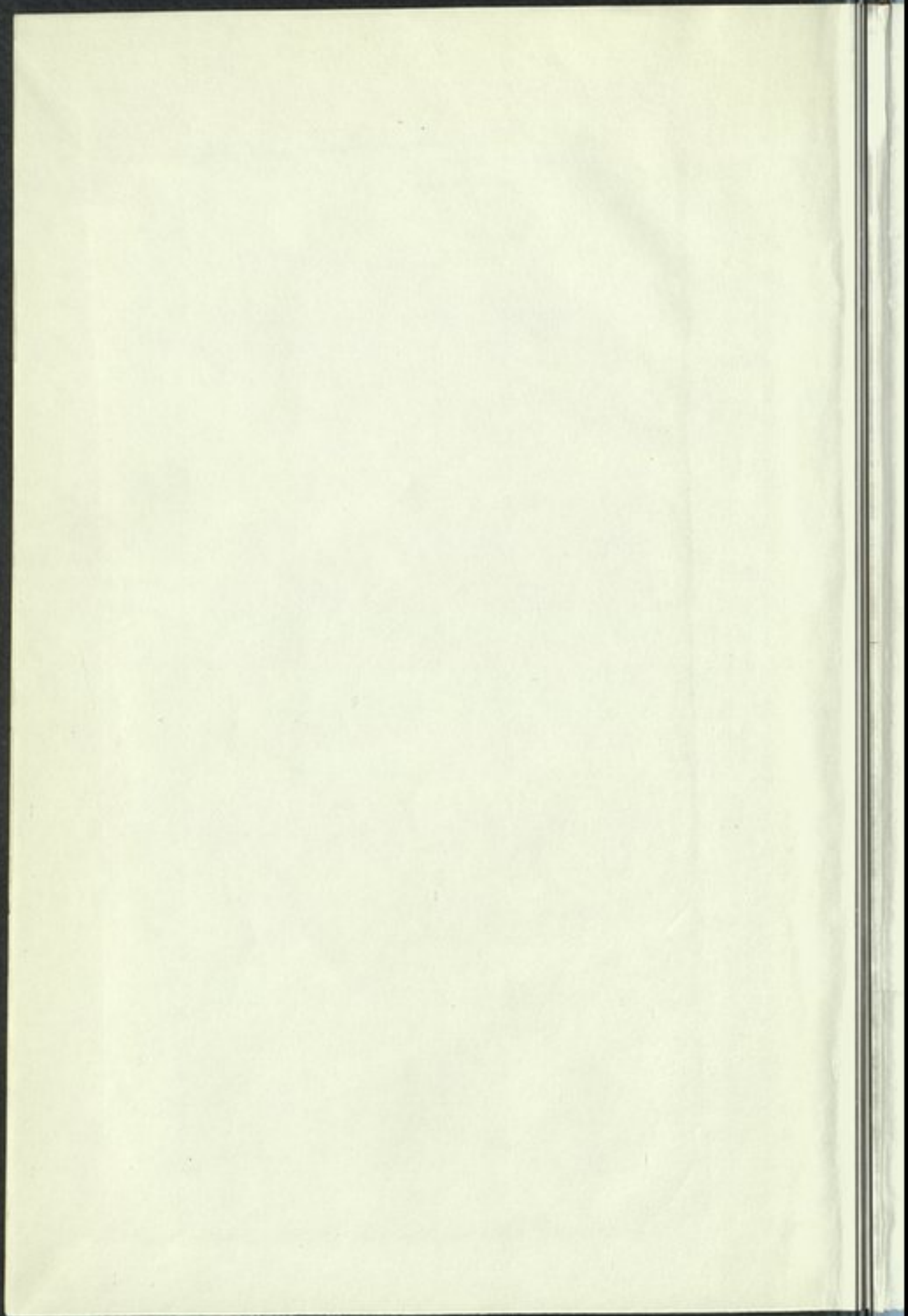
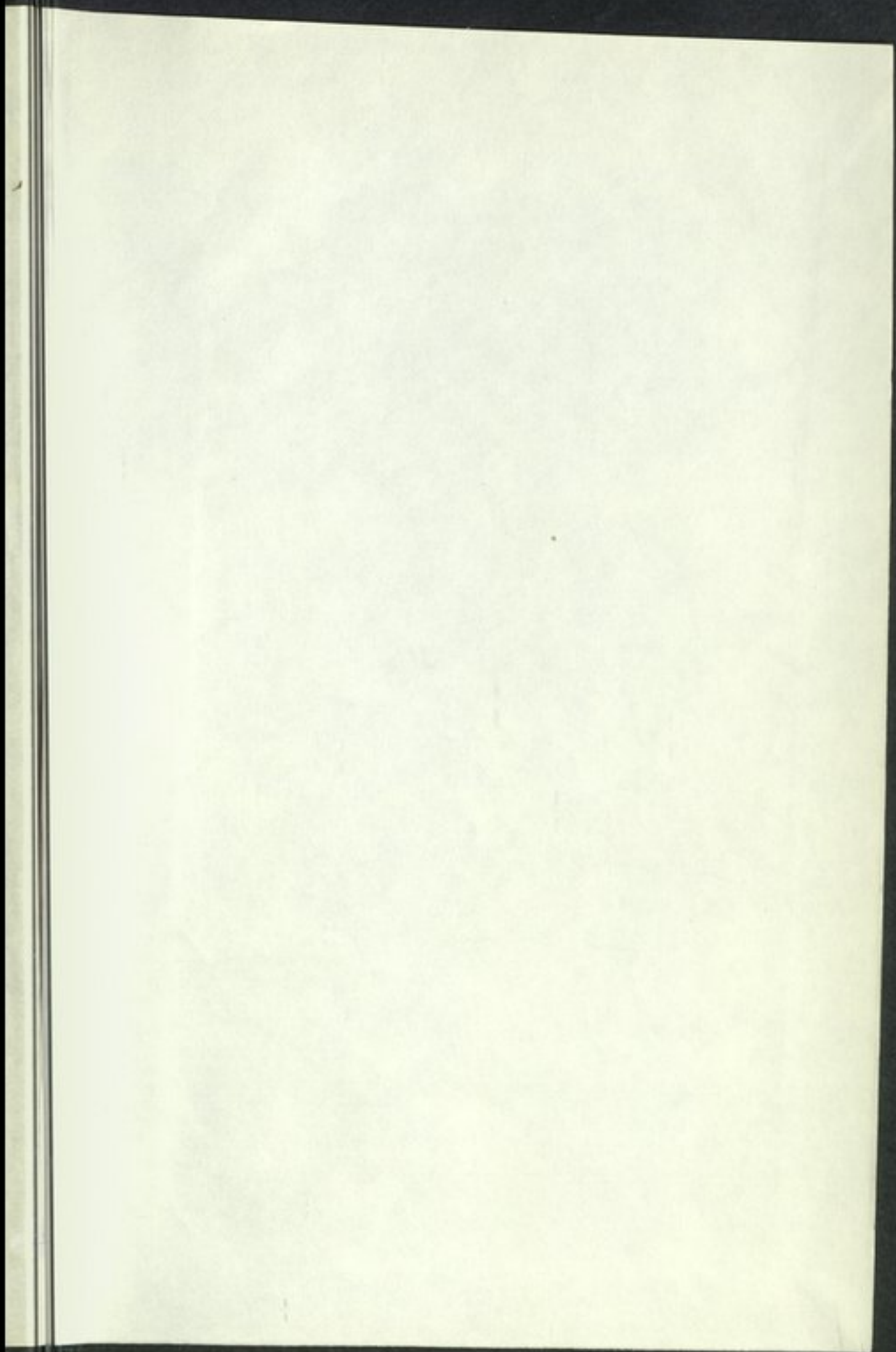


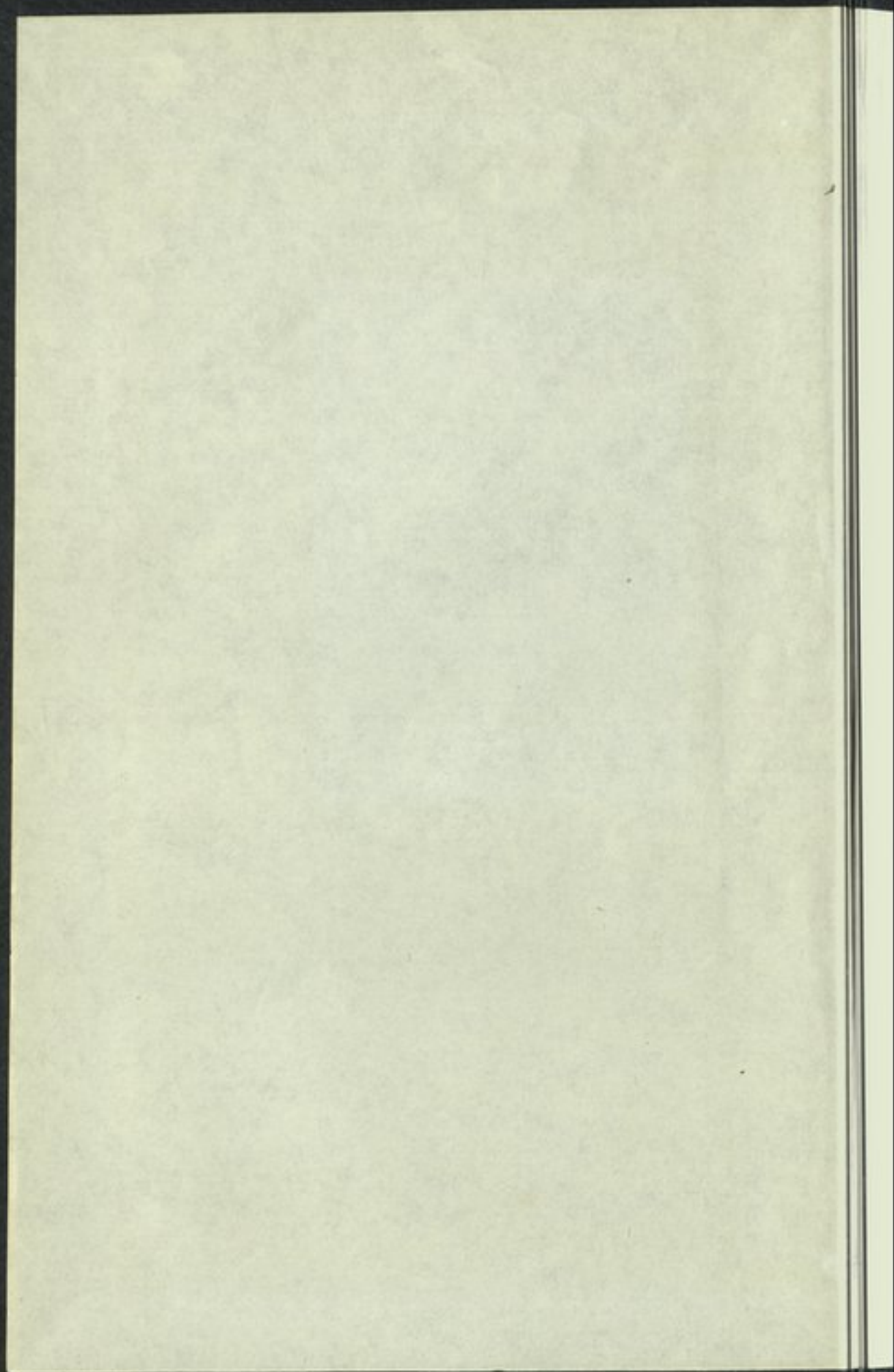
A. U. B. LIBRARY

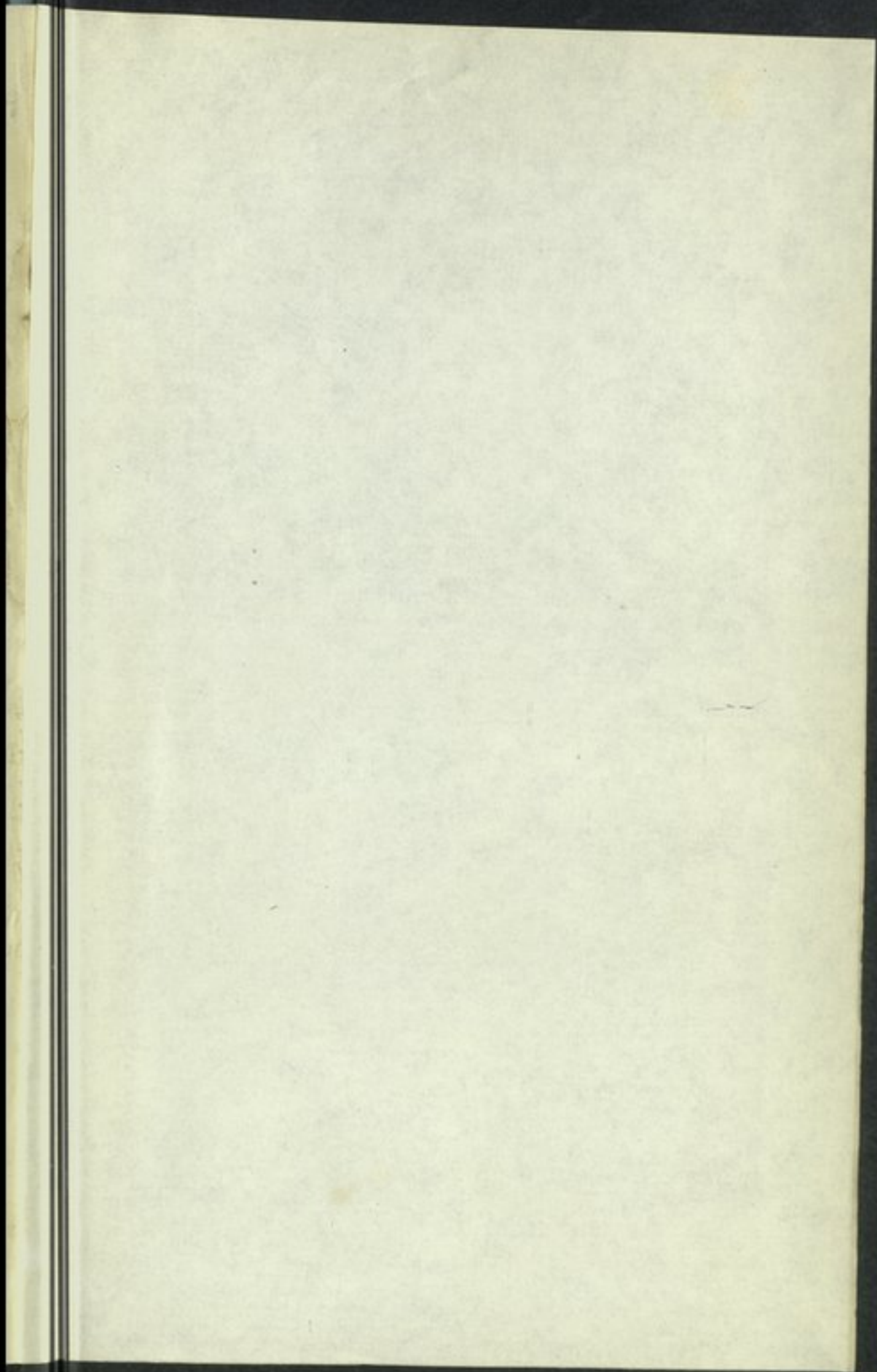
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











CA

290

J37aA

C.1

إباز العرب في أهليتنا

سبب اليف

محمد نعيان الجارم

القاضي بالمحاكم الشرعية

الطبعة الاولى

١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

28491

مطبعة التبعاذه بجوار محافظة تبصر

أهداء الكتاب

الى خدن الشباب ومن أراه
ومن لبس المحامد سابغات
ومن يولى الصديق الود صفوا
لمن يخشى الأله ويتقيه
الى خير الصحاب ولست اغلو
الى الخل الوفى الى (الودينى)
لمن تزهى بمدحته القوافى
أحب الى من عهد الشباب
وحل من الفضيلة فى اللباب
كأن نميره ماء السحاب
ويرجو عنده حسن الثواب
اذا سميته خير الصحاب
سديد القول ذى الرأى الصواب
(لاحمد عارف) اهدى كتابى
محمد نعمان الجارم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله تقديست ذاته وتعالى اسماءه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت
آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل الجميل ذاته واستحق جل جلاله
عظيم الثناء لسنى صفاته وجب أن تذل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات
وحق أن تعنو الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا
معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسوله محمداً بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضح طرائقه ووضع له
الصوى (١) والأعلام حتى لا تمشى أمته من بعده في ظلام فعليه أفضل الصلاة
وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسهبت
فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة
وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب
له ونشأ بعد المختلفين قبيل عاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدركوا نور
الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقوقهم فأعرضوا عن
الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لمحو نور الاهتداء ولم
يقيد فكرهم تعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر
لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس في وسط النهار
فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابي
(العرب في الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب في الجاهلية وأوهامها التي
هدمها الاسلام والله أسأل أن يجعله مقبولاً لديه فان الامر كله منه واليه انه
اكرم مسئول وبيده القبول

(١) الصوة بالضم حجر يكون علامة في الطريق جمعة صوى

مقدمة

الانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهي بها البحث الى أن المؤثر في الأكون لا بد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة في الانسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس في أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته ليقتنع بها في العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم يتسبون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا في أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والمحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرسون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التي هي غالباً نفوس السلف الصالح من آباءهم وأجدادهم الذين لهم في القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت و نصبوا لهم التماثيل وجمعوا اليها يستمعون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحي ابتداءً باعتقاد الانسان ان له موجداً

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً بخالدة تصير بعد الموت في عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع في عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى في الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدتها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود لنهر الكنج والمصريين القدماء لنهر النيل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين ~~أديان~~ أديان الهية وهي ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام ~~وأديان~~ وأديان وضعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهي من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحت على مكارم الأخلاق والاداب والفضائل وتنص على الأحكام التي تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذي أنزلت فيه والذي يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسخ الذي جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذي يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي وقوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . والذي يوحى اليه من الله تعالى نبي أو رسول ويطلق النبي عرفاً على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم في عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء في الكلبيات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً . لكن الاكثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الا آن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتنقها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتنقه نحو مائتي مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي منسوبة الى بوذا رجل كان في سنة ستمائة واثنين وعشرين قبل المسيح قصد بها في الاصل اصلاح الديانة البراهمية (١) وتهذيب تعاليمها ولكن نشأت بين معتنقي الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها في الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتنقها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب في جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلاً في هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله في العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبر الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هودا عابراً أو عبيراً على وزن جعفر

أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين
هؤلاء النبيين واكثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام
× وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر
لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاورتهم وناهيك ببلاد الشام وهي
الارض التي بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه
الديانات الى بلادهم واعتنقها من اعتقدها منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب
ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجت عبادة الاوثان فارسل الله
سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد (وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه
 ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق
 ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش التوحيد
 كتاب الكفر والزيغ مهزومة واصبحت أبطال الضلال والاحقاد صرعى
 مكلومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى
 لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه
 وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر)

انظر الى سنة

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسب القول في تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول .
ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها في دولة حمورابي
الدولة البابلية الأولى التي هي من سنة الفين واربعمائة وستين قبل الميلاد الى
سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه
وبين نوح نبي الهود وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق
يسفه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهر فرصة خروجهم في يوم عيد
لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود
حاكمهم بأحراقه والتي في النار جعلها الله برداً وسلاماً فلما نجاه الله أجمع امره
والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتسكة وبينهما مسيرة يوم
وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر
وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه
السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله
كبيرم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت
أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان
سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض
مسلماً غيرى وغيرك (١) فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه
فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها
فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها
فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدي ولا أضرك
ففعلت فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد
فقبضت يده أشد من القبضتين الأولىين فقال ادعى الله ان يطلق يدي ولا
أضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان
ولم تأتى بانسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما
رآها ابراهيم انصرف فقال مهيمم (٢) فقالت خيراً كفى الله يد الفاجر
وأخدم خادماً قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بنى ماء السماء « (٣) وانما
كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لأبراهيم فولدت له اسماعيل أبا
العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة
اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نوادره وهاجر أول
امرأة ثقت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذلك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه
لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلفظة أهل اليمن أى
ما حالك وما شأنك أو ما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة
ملازمتهم للغلات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) خلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم ان تبرقسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في العرب . وأوحى الله لإبراهيم ان يحمل اسماعيل وأمه الى مكة . وكان من أمرهما رواه البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق (٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتعنى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعة حتى وضعهما عند البيت عند دوحه (٣) فوق زمزم في أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قمى إبراهيم منطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتركننا في هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى اذا كان عند الثانية (٧) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

- (١) روى انها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر فسكون ففتح ازار له حجرة (٣) الدوحه الشجرة الكبيرة (٤) أى مكان المسجد لانه لم يكن بنى (٥) السقاء (بكسر اوله) قرية صغيرة (٦) اى ولى راجعاً (٧) الثانية الجبل (٨) يتلبط يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الإنسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه (٢) تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبها أو قال بجناحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تعرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تعرف . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء (٧) لكانت زمزم عينا معينا (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله بينيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مررت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عاتفاً (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء

- (١) المجهود هو الذي أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهلة وسكون الهاء وبكسرهما منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس في الأصوات فعال بفتح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثني (٤) شك من الراوى (٥) بجاء مهلة وضاد معجمة وتشديد أى تجعله مثل الحوض (٦) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينا أى ظاهراً جانياً (٩) الضيعة بفتح الضاد أى الهلاك (١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفي رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسوا جريا أو جريين (١) فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا .
قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن نزل عندك نعم ولكن
لاحق لكم في الماء قالوا نعم . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
فألقى (٢) ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس (٣) فنزلوا وارسلوا الى أهليهم
فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
وأنتسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم (٥) وماتت
أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد
اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا (٧) ثم سأها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكيت اليه قال فاذا جاء زوجك
أقرني عليه السلام رقولى له يغير عتبة بابي (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آانس
شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك
فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء
قالت نعم أمرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذلك أبي
وقد أمرني أن أفارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة اخرى (٩).

(١) بفتح الجيم وفتح الراء وتشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على
الوكيل وعلى الأجير قيل سمى به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله
(٢) النى أى وجد (٣) الأانس بضم الهمزة ضد الوحشة
(٤) أنتسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت
رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى
السهيلي ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال
ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابي كناية
عن المرأة - وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم
(٩) ذكر الواقدي ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطني
ان اسمها السيدة بنت مضا

فلبت عنهم ابراهيم ماشاء ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأها
عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسأها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت
نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال
فما شربكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما
لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فإذا جاء زوجك فاقرىء
عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد
قالت نعم أتانا شبيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف
عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام
ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذلك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك
ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبى نبلا (٢) تحت دوحة
قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد
(٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني
قال أعينك قال فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة
على ما حوّلها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي
بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له
فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم قال فجعلا بينيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا
تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦)
أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا

(١) خلوت بالشئ واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل
اللبن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله
وريشه وهو السهم العربي (٣) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو
ذلك (٤) بهذا الحجر يعنى مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين
(٦) يعنى واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويزكيهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف في أي ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء في الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسب السوائب - وذكر السهيلي (٤) ان اسماعيل نبي مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فأمن بعض وكفر بعض - وحكى الحلبي في سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفي اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذي بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

✽ المختلف في نبوتهم من العرب ✽

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم بتبليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف في نبوته وعددهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أي من اتقاهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبي ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يزكيهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) ما نقله عن

السهيلي من كتابه الروض الأثف

في كلياته فقال (والمختلف في نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر
وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكالب وخالد بن سنان وحنظلة بن
صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر
وآسية - ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبي الحسن الأشعري القول بنبوة
امرأة والواحد لا يخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبى امرأة بدليل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان
وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت
ولا أدري أى التبابعة المختلف في نبوته أهو الرائش وهو تبع الأول أو
ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو
الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة
فمر بها ولم يهيج أهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو يجمع على
خرايبها واستئصال أهلها وقطع نخلها فقال له أحد احبار اليهود من أهلها .
الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق
عنا حمله أو نجرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم
فاعتقد صدقه وتهود وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسي فذهب بعضهم الى انه كان مؤمناً
ولم يكن نبياً والكثيرون على نبوته قال الحلبي في سيرته قال بعضهم لم يكن في
بني اسماعيل نبي غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة
بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو
الذى اطلق النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبدها
كالجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق
فيذهب في الارض فلا يجد شيئاً الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطلاقها
(١) تبان اسعد اسمان جعل اسمها واحداً فان شئت أضفت كما تضيف

معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب في الاسم الاخر

وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول
بدا بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها
فوجد كلاباً تحتمها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب في
خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وقالوا له انما نخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه
الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا
أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً فخرجت فقالوا يا خالد
ارددها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل
رأسه في جيبه فيجىء المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت
وهي عجوز على النبي فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنة اخي مرحباً
بابنة نبي ضيمه قومه فأسمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي
البخارى أنا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي
(٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال
مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ
لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبي ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد
خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما في القاموس وشرحه البئر المطوية بالحجارة
وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما في الاساس وقع في الرس أي بئر لم
تطو « سموا بذلك لانهم قتلوا حنظلة ودموه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد
ريهم ويديت اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفي
أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الألس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بدأ (٢) في تاريخ
ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بدأ بدأ
كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهي تظلي ولا خرجن منها وثيابي تندي
(٣) روى بعضهم ان البنت التي جاءت الرسول ليست بنته الصليبية
بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

﴿ الحرم ومكانته عند العرب ﴾

الحرم مكة وما حوالها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك
وحدود الحرم من مكة تختلف قريباً وبعيداً فيجد من جهة المدينة بثلاثة أميال
ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال
ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى في الروض
المعطار عن الزبير ان أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان
ابن أد خوفاً من أن تندرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه انها موضوعة
قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل وممن ذكر ذلك السيوطي
في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم
الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي جدها ثم لم
تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي جدها ثم
لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث اربعة من قريش كانوا ينتدرون في
نواحيها فجددوا انصابه وهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سعيد بن ربوع المخزومي
وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كان عثمان بن
عثمان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم
فبعث عبد الرحمن نقرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن
ابن أزهر وكان سعيد بن ربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر
مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل
سنة فاما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن
مروان أرسل الى أكبر شيوخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من
بنى بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم « وقال النووي في شرح المهذب ان
تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة
الجعرانة فليس فيهما انصاب
وقد جعل الله مكة وما حوالها حراماً آمناً يتخطف الناس من حوله

واختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حراماً بسؤال ابراهيم
(رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعنى مكة وماحواليها فأجاب الله سؤاله ويعاضده
رواية أبي هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله واني
عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لايتيها
عضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير
« والقول الثاني » انها كانت منذ وجدت حراماً آمناً من الجبارة والمتسلطين
ومن الخسف والزلازل وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمناً من الجذب
والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ماروى عن أبي شريح الخزاعي
أن النبي لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيامة لايجل لامري يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ أو يعضد (١) بها شجراً وانها لا تحل
لأحد بعدى ولم تحل لي الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهي قد رجعت
على حالها بالأمس الا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا
ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم في ذلك فكانوا لا ينفرون صيد
الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضا

فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبیت ليس يؤذى حمامه تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لاتزال أنيسة اذا خرجت منه فليست تغادر
وقال النابغة الذبياني

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أي ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا
جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافر وحذف الياء ضرورة ورفع
على المعنى أي وتأمين فيه العصافر (٣) اقسم بالله الذي أمن (العائذات)

ماقلت من سبي مما أتيت به اذا فلا رفعت سوطي الى يدي
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدي في العاص
ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخوينه وان كان
مقيماً في الحرم

ان الحرم لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدى اتاوة ولا تدين للملوك وهي كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراماً ولم يملكه أحد

قال الزبير بن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا
أندري من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر في الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أتقوا من أن يدينوا لملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبي
مطر الحضرمي يدعوه الى حلقه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامي من قريش (٣)

وهي الحديثة النتاج من الحيوانات جمع طائفة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهبجها بأخذ و (الغيل) بكسر الغين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى
(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر يطعمونه ويكفونونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته
(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خدش بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش
الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ما شدنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتعظم حرمة مكة

ابني لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يفررك بالله الفرور
ابني من يظلم بمكة يلقى أطراف الشرور
ابني يضرب وجهه ويلج بخديه السعير
ابني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن في ثبير
وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا
وإذا نزل أحدكم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزيها له
ولا يبنون فيه بناء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب
والله أمنها وما بنيت بعرضتها قصور

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهي طعام رقيق يتخذ
من دقيق (٣) قال سيبيويه الأجب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب
وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العريش وكانت العمالقة وجرم
حين ولايتهم الحرم ينتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة
حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مر فلما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي
ابن كلاب بنى دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة
البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لتمهاتهم العرب
ولا تستحل قتلهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهة لكل بطن
منهم باب ينسب اليه كباب بنى شيبه وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب
بنى جمح وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك
بهذا الجوار حتى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله
بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تفيء عليها
الكعبة صباحاً وتفيء على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف
بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف
رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكعبش والاسد
مجاور البيت ذي الاركاز بيتهما مادونهم في جوار البيت من أحد
قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر ظلماً ولا بغياً ولا يبغي فيها أحد الا
مكته وأخرجته وقد روى الاصمعي قول الراجز في تلبيته

يا مكة الفاجر مكى مكا ولا تمكى مذحجا وعكا
وكانت تسمى أيضاً بالناسة لانها تنفس من ألد فيها أي تطرده وتنفيه
وبالناسة لانها تبس من ألد فيها أي تحطمه وتهلكه ومنه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

ولقد كان اجتناب الظلم في الحرم شريعة عامة ودينياً متبعاً وان حصل
اعتداء على النفس أو المال فنادر كما أذى كفار قريش زيد بن عمرو بن ثعلبة
في مكة لما طرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم
جرمته علي من استحل منه ما استحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) . وان بيتى أوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضاه

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبه السلمي باع متاعا من أبي بن خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بني جمح فلم يقم بجواره فقال

يال قصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم

أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السامى فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)

فأت البيوت وكن من اهلها صددا لا يلق ناديهم خشا ولا باسا (٤)

وتم كن بفناء البيت معتصما تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمى قريش وحلا فى ذؤابنها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا (٥)

ساقى الحجيح وهذا يامر فليج والمجد يورث أحماسا وأسدا سا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحماقة واما الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العقلاء ان ما كان يقع من المظالم فى الحرم لو لم يقف الحق فى سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيبة الحرم من نفوس العرب واعتدى على سكان البلد الحرام فتكلموا فى ذلك ثم تحالفوا على نصره المظلوم على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان فى الحقيقة حلفا سياسياً اجتماعياً عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامة ودفعهم لعقده أيضاً الدين مخافة ان يعاقبهم الله على البغى فى الحرم

(١) محرم ساكن فى الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الذمة بالكسر العهد والغل الحقد (٤) كن صدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز والشرف وكل شئ أعلاه

أما العدوان الذي كان سبباً مباشراً لهذا الخلف فهو ما روي أن رجلاً من
بني زبيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن
وائل السلمي وكان ذا قدر بمكة وشرف فخبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدي
متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فعرف أن لا سبيل إلى
ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره الاحلاف
عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى
على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة
فصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نأى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
اقام من بني سهم بدمتهم ام ذاهب في ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون
من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال
حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وان كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يعزبه الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا أباة الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لا أخشى أن يصينا ما أصاب
الأمم السالفة من ساكنى مكة ومشى إلى عبد الله بن جدعان التيمي وهو
يومئذ شيخ قريش فاخبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمران
فلنونهما للبنى . احدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس
بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشام فنزلوا بماء يقال له
القطيعة فصبوا فضلة خمر لهم في اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم
بقية ففكر ع منها حية أسود ثم تقيأ في الاناء فهب القوم فشربوا منه
فماتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني اسد

ابن عبد العزى (١) وبني زهرة وبني تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان
فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار في شعبان وحلف الفضول
بعدها في ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا في
شهر حرام قياماً يتأسحون بأ كفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة
على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه
ويكونوا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مظلمته ممن ظلمه شريفاً
أو وضيعاً منهم أو من غيرهم أو يبلغوا في ذلك عذرا وعلى ألا يتركوا لأحد
عند أحد فضلا الا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل
بحر صوفة ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى في المعاش والتساهم
بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه في جفنة وبعثوا به الى البيت ففسلت به
أركانها ثم أتوا به فشر به ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا تفارقك
حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكشوا كذلك لا يظلم أحد بمكة
الا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس لو ان رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس
حتى أدخل في حلف الفضول ولقد شهدته رسول الله فعن عائشة انها سمعت
النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف
الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لى به حمر النعم
وانى نقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا الا يقيم بيطن مكة ظالم (٣)

أمر عليه تعاهدوا وتوآثقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

(١) تابعتنا ابن أبي الحديد في شرحه لنهيج البلاغة وروى الاغانى عن
محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول
(٢) في رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة
(٣) الفضول هم القبائل التي عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض
للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليغضبن الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليغضبن المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فضل من الامر . ونقل السهيلي سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن تبعهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
فضيل بن الحارث هذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قضاة . فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الجرهميين سمي حلف الفضول والفضول جمع فضل وهي أسماء أولئك الذين
تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبي بكر قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان ترد الفضول على أهلها والا يعز ظالم مظلوما فقد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
وإسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .
فن أثار نفعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضاً
نساء العالمين فأغتنصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعديني
على هذا الرجل فليل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا حلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم
يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في ابنتي وانثربها مني قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فأخرجها إليهم
ومن ذلك ما في الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجهمى فظلمه . وكان يسمى المخالطة فأتى الثمالي الى أهل حلف
الفضول فأخبرهم فقالوا له اذهب فأخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا
فارجم | الينا فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياه بعينه وقال الثمالي فى ذلك

أياخذنى فى بطن مكة ظلما أبى ولا قومى لدى ولا صحبى
وناديت قومى صارخا لتجيبنى وكم دون قومى من فياف ومن سهب
ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمع والحق يؤخذ بالغصب

ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا لله ويا للمسلمين وجاز بالحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الخليف يا لفلان لملفائه فيجيبوه بل الشدة فى
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لا آخذن سببى ثم لأقومن
فى مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لا آخذن سببى ثم لأقومن
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبید الله التيمي فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لا هتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك . قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين فغيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضبا فهات الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتساله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبتة . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجرید النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناه عامر الجارود

حلفت بثوبى راهب الشام والتي بناها قصى وحده وابن جرهم
 ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
 وكان بابها فى الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
 لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن
 تكروهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
 أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
 المخزومى : يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
 مهر بنى ولا بيع ربا ولا مظالم أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
 من النفقة لا يكفي للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
 ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار
 يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساسا
 فى بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل فى بنائها حتى اذا بلغ البنيان
 موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
 حتى محالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
 من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا
 محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
 بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
 بيده الشريفنة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
 تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة فى زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
 اليه الحصين بن نمير فى عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
 للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقذوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من
 بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبى بكر ان الذى وضع الركن فى بناء
 عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه فى

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبنائها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بايين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الاخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة . ثم قال عايه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف خاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسنا من تخليط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشبرا وبني على أساس قریش ورفع الباب الشرقى وسد الغربى ولم يغير من باقىها شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر خدناه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكت الارض بمخصرة في يده ويقول « وددت انى تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أى باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تكنى باسم ولده خبيب

هيبتة من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من
بناء الحجاج وباقي حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من
كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف
فى نبوتهم من العرب رووا انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه
وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل المصفى وأرى
فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن
من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢). ثم أرى ان يكسوه أحسن من ذلك
فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصى بالبيت ولاته من جرم
وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دمأ ولا ميتة ولا مثلاة وهى الحائض (٤)
وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)

فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)

ونحرننا بالشعب ستة آلا فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه ثؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد
الخميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

- (١) جمع خصفة وهى ثوب غايظ أو شىء ينسج من الخوص والليف
(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حى من همدان (٣) الوصائل
ثياب حبرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض
واحدتها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على
محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقه المحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب
له علم فى موضع المعضد (٦) الاقليد المفتاح.

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
 وأذل ربي ملكه فيها فأوفى بالنذور
 عشى اليها حافيا بفنائها الفا بعير
 ويظل يطعم أهلها لحم المهاري والجزور
 يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغني أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجمل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأتماط فتكسى منه الكعبة ويجعل ما بقى في خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى في المال فقال لقريش انا أ كسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتي بالحبر الجندبية من الجند وهي بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العبدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراهم الناس في بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار

(١) غزاها طلبتها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العبدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العبدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النساب انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الداقطنى أن تقيلة أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرها عند البيت . وجللتها
شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى
الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسي شتى
من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه
وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته الالامية
المشهوره فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل
وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبي عليه السلام الثياب
اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأمويون وكان العباسيون يكسونها
الحرير الأسود وينسجون كسوتها بكتيس احدى مدن مصر التي عفت ولما ضعفت
شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر
ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسنديس
بمديرية القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام
وكانوا في الجاهلية لا يزرعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبي مليكة انه
قال . كانت على الكعبة كسي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع
والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاباً بعضها فوق بعض فلما كسيت
في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام
معاوية فكتب اليه شيبة بن عثمان الحجبي يرغب اليه في تخفيفها من كسي
الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن
يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحريرة فجردها شيبة حتى لم
يبق عليها شيء وكساه الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي
كانت عليها بين أهل مكة . وكان ابن عباس حاضراً في المسجد فلم ينكر
عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبة
العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيراً فنذرت ان هي وجدته
أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بمها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدنة الكعبة كثرة الكساوي التي عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن
تعظيم المعجم والعرب للكعبة

قد عظمت المعجم والعرب الكعبة فمن تعظيم المعجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبوه أحد آلهتهم وهو الأ قنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدتهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسعودي سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول فزمزمت عليها - والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البر وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان
زمزمت الفرس على زمزم وذلك من سالفها الاقدم

والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلواتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلني بالاباطح آمينا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا

وطاف به وزمزم عند بر لاسماعيل تروى الشارينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أبيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبني بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامتثلوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق
 بنائها تعظيما لها . و (كانوا) يتحامون التبريع في البناء كيلا يشبهها وأول من
 بنى بيتا مربعا حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبد العزى كما في الحيوان للجاحظ
 لكن في صبيح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بُديل بن ورقاء الخزاعي
 و (كانوا) يخلعون نعالهم عند دخولها . وفي صبيح الاعشى ان أول من
 خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يخلفون بها والشواهد
 على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبي سلمى

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
 و (كانوا) يضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودمائها فلما جاء
 الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن
 ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبدا
 كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعذراء وصوروا بها
 ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذي تعبد
 عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنما وما زالت كذلك
 حتى بعث رسول الله فحما الصور وكسر الأصنام وخلصها لعبادة الله وحده
 ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاوري
 البيت الحرام بالرياسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهي
 به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما
 استشعروا من تقسيم القوة عند ما انتصروا على صداء — وهي قبيلة من
 مذحج — قالوا والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعضد
 شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر
 الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعاهم هذا زهير بن جناب وهو

(١) في القاموس بس بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيدكلب . قال والله لا يكون هذا أبدا وأنا حي فسار في قومه حتى
غزا غطفان فظفر بهم وأسر فارساً في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب
رقبته فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل
ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني مرة بن عوف

واما كنيسة القليس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي
بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها . ولما تم له بناؤها
كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبني العرب والعجم مثله
ولن أنتهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت
العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني فقيم
ابن عدى بن عامر نخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فاحق بقومه
فلما أخبر بذلك أبرهة سأل عمن صنعه فقبل له صنعه رجل من العرب من أهل
هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة
وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه القليل . فلما نزل
بالمغمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا
هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاتلهم وعامت قريش انها لا طاقة لها
بجربه فأخذ عبد المطلب بملقة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون
الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يمد مع رحله فامنع حلالك (٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا
من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع
الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزءوا به عن الحج فاغار زهير بن
جناب السكبي فقتل فالما وهدم بناءه (١) قال السهيلي سميت هذه
الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس
(٢) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقي .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

وانصر على آل الصلي ب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ومحالمهم أبدا محالك (١)
ان كنت تاركهم وقب لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتجرزوا في شعف الجبال والشعاب تخوفا
عليهم من معرفة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما
أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيله وعبي جنده . فلما وجهوا الفيل الى
جهة الكعبة برك فضربوا رأسه بالقأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في
مراقه حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى
الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة فبرك
وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك فخرجوا يتساقطون بكل طريق
ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى
قدموا به صنعا وهو مثل فرخ الطائر . فامات حتى انصدع صدره عن قلبه
فلما رأته العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استذل أبرهة أهل اليمن في بناء القليس وبنائها بحجارة قصر بلقيس
صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ
وبه بقايا من آثار ما كنها فاستعان بذلك على ما أراده من بهجتها وحسنها
فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه
العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان في قصر
بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو
القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و (السجيل) الشديد الصلب
(٣) هو محي الدين ابن العربي وجميع ما نسب له فن كتابه محاضرة
الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع
 طولاً في اربع اذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون
 ذراعاً في اربعين ذراعاً محلي بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب . ثم
 يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعاً عن يمينه وعن يساره عقد
 مضروبة بالفيسفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان
 الى قبة ثلاثون ذراعاً في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة
 وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من اليلق مربرة عشر اذرع في مثلها تعشى
 عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة
 وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج
 المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في
 القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب
 وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في
 الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحمري . وهو في لسانهم الحر ، روى انه
 لما هلك أبرهة ومزقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم
 يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئاً
 فأصيب بأذى فنسب رطاع اليمن ما اصابه الى الصنمين كعيب وامراته فتحاماهما
 الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي
 تساوى قناطر من المال الى زمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمن
 العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس
 مالا كثيراً بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة
 التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمن يقولون فيهما فعلق السلاسل
 في العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزوا من السور . فلما لم ير الناس شيئاً
 مما كانوا يخافون من مضرتهما اشترى رجل عراقى الخشبة وقطعها لدار
 له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتتن بذلك رعاغ اليمن وطلغاهم وقالوا
 أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهينة يقال له عبد الدار بن حديب قال لقومه هلم نبني بيتا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بان تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمائم
فأبى الذين اذا دعوا لعظيمة راغوا ولاذوا في جوانب قودم
يلحون ان لا يأمرؤا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين ابراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب . فكانوا يزرعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طى كلها وخنعم كلها وكثير من احياء قضاة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ما حكاه الجاحظ في الحيوان محلين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعتها فقال

« ان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمان الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لدريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية وما نعرزه اليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعامة أريأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال
ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج .
وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأوقات تأتي
أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل
مصلحة لأهلها ونظراً من الله لهم دبره وإبقاه من ملة إبراهيم «

ولا اعتبارهم الاعتمار فى رجب سموه من منصل الألة (١) لانهم كانوا ينصلون
الأسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الألة بعد ما مضى غير أداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالفلان
ويالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجياً أكثر من سائر
العرب وتذبح فيه قرباناً تسميه الرجبية حتى أضيف اليها فقبل رجب مضر
وكانوا يرون رجياً أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء
على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن
الخطاب رأى رجلاً مبتلى فقال ما رأيت افطع منظراً منه . فقيل له أما تعرفه
يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السلمى الذى دعا عليه عياض .
فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا
ابن عم لهم فكنت مستجيراً بهم وجاراً لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدواناً
فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم ينفد فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدي
الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بنى ضبعان الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعشى اذا ما قيد أعيا القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقي منهم
هذا اعشى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الألة الاسنة - والألة الحربة - يقال أله يؤله ألا اذا طعنه

(٢) الأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ
 بالنار أو انتهاز اغتيال يدعو اليه الحقد والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد
 عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من
 حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول
 لا نعرفه والذي نعرفه أنهم يسمون الليلة التي ينقضي بها آخر الاشهر الحرم
 ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالي الشهر لانه ربما رأى الهلال قوم لتسع
 وعشرين ولم يبصره الباوقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا
 سميت تلك فلتة (١)

فمن مسارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن
 المقشعر الضبي فانه لما علم أن الخنيفة الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من
 جمادى الآخرة نهض عاصم قبل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء
 خباء الخنيفة ناداه مستنجدا فلما خرج اليه الخنيفة وسار معه داناه عاصم
 حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى
 ورجب) فسارت كلمته مثلا

فاذا انسلخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أو قدت نارها الاحقاد
 وغارات أثارها طلب النار أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل
 الغنوي وهو شاعر جاهلي

ظعان أبرقن الخريف وشمته وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)
 يعني دخلت شهور الحل نخفن ان يغير الهمام عليهن فتتكبن ناحيته
 وتباعدن عنه . وقد توعد تأبط شرا العوس بقتالهم عند انسلاخ الأشهر
 الحرم وذلك انه خرج يوما وصاحبان له حتى أغاروا على العوس من بجيلة

(١) في القاموس الفلته آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر
 الذي بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف -- وقال
 بعضهم دخلن في برق الخريف و (شمته) أبصرنه - والشيم النظر الى البرق
 خاصة و (القنابل) جمع قنابل وهي الجماعة من الخيل

فاخذوا نعماء لهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالاتهم
كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه
فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعمهم فتى تلم كأف رذاهه على سرحة من سرحة دومة شائق (١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتييل أناس أو فتاة تعانق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه
لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من
الشنفرى فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقتله لهذا قاتل أبيك فقتله
ثم سبق الناس على رجله وقال

قتلت حراما مهديا بملبد بيطن منى وسط الحجيج المصوت (٣)
وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك في شهر رجب الحرام
وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة في الشهر الحرام الحارث بن كعب .
وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سعيد بن ضبة وهو غلام قد خرج
في ابل لأبيه قد ضلت وكان عليه بردان فلقية الحارث فسأله برديه فأبى عليه
فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث
ابن كعب وعليه بردا ابنة سعيد فمرفهما . فقال له هل أنت مخبرى عن هذين
البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما
فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارماً
فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون
ثم ضربه به حتى قتله . فقتل يا ضبة أفى الشهر الحرام فقال : سبق السيف
العذل قال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعمارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراض بن قيس السكناني عروة الرجال الهوازني في

(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف

(٣) المهدي سه ثق الهدى وهو ما أهدي الى الحرم

حديث روه وهو ان البراض كان سكيراً فاسقا خلمه قومه وتبرءوا منه فلحق
 بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بلطيمة (١) لتباع
 فيه ويشتري له بثمنها آدم من آدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
 من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها
 على بني كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان
 عروة الرحال حاضراً فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها
 على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعاً أفسكب خايص يجيرها فخرج فيها عروة
 الرحال وخرج البراض يطلب غفلاته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
 جاز البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
 الحريرة (٣) وهي حرة الى جنب عكاظ كما في الاغانى وكانت حرب الفجار في
 الاشهر الحرم ففي القاموس (ايام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
 الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت
 الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومتى يوم الفجار
 ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت . وقد أخرجه أعمامه
 معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
 الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم شهر بها (٣) الحريرة كهريرة . وقد جعل
 السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوماً
 وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أتقسهم كى لا يفروا فسموا
 العنابس (٤) استظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
 الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد
 عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمه وأهله النبيل وعمره يومئذ عشرون سنة وطمعن عليه السلام أبا براء ملاعب
 الأُسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني اني لم أشهده انهم تعدوا
 على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)
 ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب
 بقوله (ولا يزال الطاعن يقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام
 الفجار بالفجور وقريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا
 وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة
 سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغا . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل
 على عمومتى . (وجوابنا في ذلك) ان بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل
 الحرم من قريش وكنانة بجزيرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد
 علموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل
 ذلك خليعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فدافعوا عن أنفسهم
 وعن أموالهم وعن ذراريتهم والفاجر لا يكون المسعى عليه . ولذلك أشهد
 الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وبه نصرنا كما
 نصرت العرب على فارس يوم ذي قاربه عليه الصلاة والسلام وبمخرجه)
 وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم يقاتل
 رسول الله مع أعمامه وكان يذبل عليهم وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت
 حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن ان يقاتل
 الا لتكون كلمة الله هي العليا » وانى لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة
 على الرمي بالسهم أو الطعن بالرماح مع ان من كان يذبل على المقاتلة مشترك
 في القتال ومعين عليه ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن في القتال الا لاعلاء
 كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد
 وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم
 لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا
 الأشهر الحرم ثمانية وهو (البَسَل) قال في القاموس البسل ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بنى مرة بن عوف وهم قوم دخلوا في نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يزعمون نسبتهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسرون به الى أى بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا:
النسيء

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم القتال في الاربعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا يحاوون لشن الغارات وطلب الثارات كرهوا توالي ثلاثة أشهر لا يغزون فيها فأحدثوا النسأة وكانوا يسألونهم تأخير حرمة المحرم الى صفر قاله أبو علي القالى في أماليه (١) وقال أبو عبيد انهم اذا احتاجوا للحرب في المحرم أخروا تحريمه الى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى . وكانت النسأة من بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم انى من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسى يمشون تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور ويحرم
أما مكان النسيء فذكر انه كان جرة العقبة فكان يقف عندها الناس
اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسى الشهور وواضعها فلا أعاب
فى أمرى ولا يردلى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طيبى وختمهم (١)
فاقتلوهم حيث تفتتموهم — فيسألونه أن ينسئهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد

(١) عبارته تقتضى ان النسيء لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه الفيروز بادی فى القاموس لقوله (التلمس رجل كنانى من نساء الشهور كان يقف عند جرة العقبة ويقول اللهم انى ناسى الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر وكذلك فى الرجيين يعنى رجباً وشعبان اتقروا على امم الله)

(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محلين يعدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال
ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فخرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة
وذكر المقرئى أن الناسى كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب
من حجها فيقول لهم : ان آهتكم العزى قد انسات صغرا الاول وكان يحله
عاما ويحرمه عاما . وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتيمم تلك
عبارة فلعل الناسى كان ينسى مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب
الكعبة وحصر الناسى ابن هشام فقال وكان أول من نسا الشهور على العرب
فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن
فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام
بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن
أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام
الاسلام . فجعلهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقرئى الى أن أول ناسى سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك
ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القلمس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم
صار النسيء في ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر
الانبارى ان من النساء نعيم بن ثعلبة وتعبه السهيلي بان هذا ليس بمعروف
وفي صبح الاعشى ان أول من نسا النسيء عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة (٢)
ولقد أكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنساء من ذلك قول بعضهم
— ومنا ناسىء الشهر القلمس — وقال غيره

نستوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعزم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

(١) نقل السهيلي عن ابن الكلبي انه قال فنسا قلع بن عباد سبع سنين
ونسا بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسا من بعده جنادة وهو
القلمس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسيء بهذا المعنى جعل النساء من
بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسيء بمعنى تأخير الحج عن وقته

لقد علمت معدان قومي كرام الناس ان لهم كراما (١)
 فأى الناس فاتونا بوتّر وأى الناس لم نعلمك لجاما (٢)
 أسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسى، وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتدرك الفاكهة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا بيضائهم فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى مجنة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو الحجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأخروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية فذسئوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة بحرمان ثانيهما للنسئ وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسئ على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا . وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة وفي الملل للشهر ستانى ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروية (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسئ بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلمت الفرس لجامه اذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالملك من نشاطه يعنى أى الناس لم نكفهم كما تكف الفرس باللجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

تقضت دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية)
ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلي عن شيخه أبي بكر في قوله
تعالى (يستلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) قال « وخص الحج
بالذكر دون غيره من العبادات الموقفة بالاوقات تأكيذا لاعتباره بالأهلة
دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور
العجمية » . وقد حرم الله نوعي النسى لقوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع
« ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر
شهرًا - منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ورجب
مضر (١) الذي بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرًا (٢) في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقائلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسى زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله (٤) زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
والمعنى لقد عاد الحج في ذي القعدة وبطل النسى بنوعيه لما في أحدهما
من كون السنة ثلاثة عشر شهرًا ولما في الثاني من عدم توالي الثلاثة الاشهر الحرم

(١) قال النووي قالوا كان بين بني مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب
فكانت مضر تجعل رجبًا ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان
فلهذا أضافه النبي الى مضر وقال السهيلي انما قال رجب مضر لان ربيعة كانت
تحرم في رمضان وتسميه رجبًا من رجبت الرجل ورجبته اذا عظمت (٢) أي
لا ثلاثة عشر شهرًا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أي يحلون
الشهر من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما - وهذا يصدق على النسى بنوعيه
(٤) يواطئوا أي يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة التي هي الاربعة وقتهم
التخصيص الذي هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به (١) - الحس

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنأدى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ومعه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير في السكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم بامماعيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة . ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف يرمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضاها أن الصلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن النووي ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت بجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضاه أنهم كانوا يصلونهما لأن علة التسمية تسبقها وقد سميت بذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مشاة أو ركبانا ومنهم من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)

(١) الاحرام بالحج الدخول في اعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورضخ لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لا يتكلم في الحج تقرباً لله تعالى روى البخاري في صحيحه
بسنده عن قيس بن أبي حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحبس يقال لها
زينب فرآها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصممة . قال لها تكلمي
فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت
وهم ينقسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء
موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثاني من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء
خلطوا أعمال الحج المشروعة في دين ابراهيم بالتقرب للاوثان من الاهلال
بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم في كل
اعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم في رأيهم وامتازوا بأمر ابتدعوها
فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فسموا العرب بفعلهم الى حلة وحس . وبين
ابن اسحاق مادعا قريشا لا بتداع التحمس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحمس
رأياً رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمه وولاة البيت وقطان
مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا
تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون
الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتم . وقالوا فدعظموا من
الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم
يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

(١) في القاموس الحمس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في
الجاهلية لتحمسهم في دينهم أي تشددهم أو لالتجائهم بالحمساء وهي الكعبة
لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا
رأى الحمس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الخمس - والخمس أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك »

ومن الخمس أيضا جديلة قيس كما حكاها النووي . وقال أبو عبيدة النحوي أن بنى عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً في رأى الخمس . وذكر ابن العربي أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعصر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فرض مرضا شديدا فنذرت سلمى لئن برى لتحمسنه فاما برى حمسته وعليه فهوازن من الخمس أيضا

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو نقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه (١) ومنعته من الناس وكان اذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو الحجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية فاما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تخل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحتمه جعلته حمى لا يقرب

ومنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون
على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »
وابتدعت الحس في الحج من باب التزهّد والتأله أشياء حكها ابن العربي
من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الحس ينسجن
ولا يغزلن الشعر ولا يسلأن السمن (٢) اذا أحرمن . وكان الحس اذا
أحرموا لا ياقطون الا قط ولا يأكلون السمن ولا يسلثونه ولا يمخضون
اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يلبسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا
محرمين ولا يغزلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم .
ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون
فيها بذمة ويطوفون بالبیت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم
في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر يعنى من أهل البيوت
والقرى تقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الحس
اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها
ويحرمون الدخول من أبوابها حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم
فأحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف
بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحس يارسول الله فقال رسول
الله وأنا أحس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه
دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من
اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى في شرح حماسه أبى تمام . فقال
(وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من اهل المدر اتخذ تقباً في ظهر بيته
فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سله يصعد
فيه وينحدر - وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون
من الحس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من
أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سامة ولم يكن من الحس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأنكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال
يارسول الله وأنت محرم فقال له انى أحس فقال الرجل ان كنت أحسبيا فانى
أحسبى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من
ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربى الى ان
الحمس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزى فأجازه
للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكرا على الرجل
متابعته فى دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن
العربى أمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى
الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربى بأن
قريشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا التحمس فى
الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد ما فيه وجدنا رواية التبريزى يرجحها
أن قريشا كانت ترى نفسها معزوزة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات
التي تنزل من السماء سقوف ولا غيره حتى سمو أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم
ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولا عمرة
لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة
لم يحل بينهم وبين السماء شىء يتخرجون من ذلك فلا يدخل أحدهم من باب
الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الحمس لا يبالون
ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من
العرب فى حجهم وعمارهم . وللحمس بقية تذكر عند الكلام على
الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يلبدون شعورهم - والتلبيد
أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله فى أصول
شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل
قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
 وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)
 وكانوا في الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن
 العجلان النهدي

اني وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
 من شعر كالليل ينبذ بالقم ل وما مار من دم سرب (٤)
 وقال أمية بن أبي الصلت
 ساجي أياظهم لم ينزعوا تفثا ولم يسألوا لهم قملا وصئبانا (٥)

التلبية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون في الحج وشاهد التهليل قول نبيه بن الحجاج
 اني والذي يحج له شه ط اباد وهلموا تهليلا (٦)
 ومبيتا بندي المجاز ثلاثا ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابي المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما اهلت لبيك اللهم
 لبيك . لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحده
 بالتلبية وبدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده . قال تعالى (وما يؤمن

(١) الراقصات الابل تسير الخبيب و (ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف
 الرواح الوحف الاسراع و (الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة
 ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و (الفريق) الطائفة من الناس أكثر من
 الفرقة ويريد جماعة الحاج و (ماقرقر) اى وبعير هدر و (جلها الوادى) جانباه
 و (من شرب) اى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى
 و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجا سكن ودام و (اياظل) جمع
 اياظل والايظل الخاصرة و (التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص
 الاظفار والشارب وتنف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفردة
 الصؤابة كغرابة (٦) هلل قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اى ما يوحدوننى بمعرفة حتى الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حججا قدموا امامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا عك (١) — فتقول عك من بعدهما

عك اليك عانيه عبادك اليمانيه

كيا نحيج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف نفرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد (٢) فيقولون الا شريكا هولاك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا تقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نغدوا بها مضمرا شزرا (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن تقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان لا يشرك فى تليبيته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا

عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل القبلة وهو قائم اذ قال

شىء لم يبلغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكفى أو كفى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضمين الحياة أى طول الحياة (الضمر) بالضم وبضمين الهزال (الشزر) النظر عن يمين وشمال وشزر جمع شزراء

أنفى لك اللهم عان راغم مهما تجشمنى فاني جاشم (١)
 البر ابغى لا الخال ليس مهجر كمن قال (٢)
 وكانوا في الجاهلية يطوفون في الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضا بن
 عمرو بن الحارث الجرهمي
 ونحن ولينا البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير حاضر (٤)
 ويجعلون طوافهم سبعا قال حسان بن تبع
 ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا
 وفي قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم
 وتقديسه وقد اقسم به ابو طالب في قوله
 وموطى ابراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل
 ولم تكن عبادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .
 وكانوا يتمسحون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب
 وبالحجر الاسود اذ يمسحونه اذا اكتنفوه بالضحي والاصائل (٥)

(١) رغم أنه ذل و (تجشمنى) تكلفنى على مشقة (٢) في روايه : البر أبى
 و (الخال) الخيلا والكبر و (هجر) مشى في الهجرة اى ليس من هجر
 وتكيس كمن آثر القائلة والنوم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة في
 سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس في زمن ابراهيم عليه السلام
 توغلوا في بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب
 وصار عندهم التوحيد الى مجرد غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون
 الحلول فيه والتلبس به تقربا منه امرا محالا تدفعه عقولهم بادي الرأي
 فاستوجب أهل ذلك الزمان أن تظهر رحمة الله بهم في صورة بيت يطوفون
 به ويتقربون به الى الله فدعوا الى البيت وتعظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على
 علم ان تعظيمه مساوق لتعظيم الله والتفريط في حقه مساوق للتفريط في حق
 الله فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنابت
 من بعد اسماعيل ثم صارت بعد جرهم (٥) قال السهيلي قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبيت طارياً حكي ابن هشام في سيرته وابن
العربي أن قريشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لا ينبغي لاهل الحل أن يأكلوا
من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حججاً أو عمارة ولا
يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس يستعبرونها منهم
للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعبر
معوزاً من يعبر مصوناً فان أعاره أحمس ثوبه طاف به فان لم يجدوا طافوا
بالبيت عراة فان أنف منهم أحد من رجل أو امرأة أن يطوف عريانا اذا لم
يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل القاها اذا فرغ من طوافه
ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا احد غيره ابدا وكانت العرب تسمى هذه
الثياب اللقي - قال شاعرهم يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزناً كرى عليها كأنها لقي بين أيدي الطائفين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرفهم الحمس ثوبا طافوا عراة اما النساء فكانت
أحداهن تضع ثيابها كلها الادراة مفرجات ثم تطوف قالت ضباعة (٢) بنت عامر
ابن صعصعة ثم من بني سلمة بن قشير وهي تطوف بالبيت كذلك
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة
الا الحمس - والحمس قريش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة الا ان تعطيتهم

فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من
الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة
في الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم اي محرم
لا يؤخذوا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت
له عنها كبرة فتركها فقبل انها ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلي : ان كان
صح هذا فما آخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين
الا قولها (اليوم يبدو بعضه أو كله) تكرمة من الله لنبيه وعاماً منه بغيرته
والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء - فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادي في خزائن الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلي وكان له جار من خراة اسمه خاطم فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال
اني امرؤ أبكي على جاريه أبكي على الكعبي والكعبيه
ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فاما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج في الخلعاء من بكر وخراة فاستجاشهم على بني لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بني لحيان في العرج فقتل فيهم وسي من نسائهم وذرائعهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس في حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذي عهد عهده من المشركين الا بعض بني بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلي . قال أبو هريرة فأمرني على أن أطوف في المنازل من منى براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى (١) فقييل له بم كنت تنادي فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لاعهد له - وكان المشركون اذا سمعوا النداء براءة يقولون لعلي سترون بعد الاربعة اشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن

(١) صحل صوته بح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لاتعتد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا
وكرها وحج رسول الله في العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله
لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة وحس قال
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل وندب أصحابه اليه لظهور
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كسفار قريش عند
دار الندوة ينظرون له ولأصحابه ويستضعفونهم ويقولون أو هنتهم حتى يثرب
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقتضاه عدم سنيته
بعد أن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سنيته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب ثلاثا ومشى أربعا وكذا أصحابه
رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسهون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتمائل (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وهما صنمان فكانوا يسهون
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمشلل مما يلي قديدا

(١) الرمل الهرولة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره وييسدى منكبه الأيمن ويغطي الأيسر
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضبعين وهما العضدان

(١) ثني المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق
عشية سال المربدان كلاهما - وانما هو مربد البصرة وقولهم تسألني برامتين
سلجما والعرب يشيرون بالثنوية الى جانبي المكان المنى أو الى أعلاه وأسفله
فيجعلونها اثنتين على هذا المغزى و(تمائل) جمع تمائل وأصله تمائل فحذف الياء

وكانت الارد والانصار وغسان تهمل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي : ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما . قالت : بئس ما قلت يا ابن أخي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمثل لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألتنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز وجل : ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه الا يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف و نائلة في الالوهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يجزوا لمن أهل لمناة ان يسمى بينهما ويتمسح باساف و نائلة المنصوبين عليهما وكانوا يقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال العدوي

واقسم بالبيت الذي حجت له قریش وموقف ذى الحجيج الال (١)
وقول النابغة الذبياني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثم ذو أمة وهو طائع (٢)
بمصطحبات من لصف وثبرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)
وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمي بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصف وثبرة موضعان اقسام بالابل التي يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيماً لها و (سيرهن التدافع) أي من الاعياء يعني يتحاملن تحاملاً من الجهد والتعب

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل (١)
وكان وقوفهم يوم تاسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الخمس تقف بالمشعر الحرام
وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس
فقد قالت قريش نحن ولاة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شىء من
الحل كتعظيم الحرم لئلا تستخف العرب بحرمتنا فتركوا لذلك الوقوف بعرفة
والافاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين
ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والافاضة منها فلما حج النبي عليه
السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كهاداتهم ولا
يتجاوزوه فتجاوزوه الى عرفات

وأزل الله في ابطال ما أحدث الخمس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع الخمس ووفقه لدين ابراهيم . روى
مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم قال أضلت بعيرا الى فذهبت أطلبه
يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً مع الناس بعرفة (٤)
فقلت والله ان هذا لمن الخمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش تعد من الخمس
وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله
البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

(١) المشعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل
(والشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء و(مفضى الشراج) مجمعها و(القوابل)
المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) قيل أن المشعر
الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد
بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى
تكليفيهم بالوقوف عليه ليتمكن الافاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجرات
النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من تعيين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذي يلي الاجازة للناس بالحج من
 عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده
 ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله
 بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من
 جرم كانت لا تلد فنذرت لله ان هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة
 ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة
 في الدهر الاول مع اخواله من جرم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه
 الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أديذكر
 ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية (٢)

فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان ثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص قضاة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر
 الحرم كما كانت خثعم وطبي تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت
 صفراً أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت
 شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال
 لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل
 والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبي . انما سمي الغوث
 ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لامه وولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة
 ولتجعلنه ربيطاً للكعبة ففعلت فقبل له صوفة ولولده وهو الربيط - وقيل
 ان أم الغوث لما ولدته وكانت نذرت ان ولدت غلاماً لتعبدنه للكعبة ربطته
 عند البيت فأصابه الحر فموت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار
 ابني الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين » فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا
مجد بناه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا
وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضاً كما سنذكره

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب
وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)
والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب . وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً
على قزح وهو جبل بمزدلفة ليراهم من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما
قال السيوطي وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن . وكانت الافاضة
من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يجيزهم رجل من عدوان بن عمرو
ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي أجازتهم يقول ذو الاصبع العدواني
ومنهم من يجيز الناس بالسنة والنقض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم تزل فيهم
يتوارثونها حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو سياره عميلة بن الاعزل (٣)

(١) المعرف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمون في التعريف موقفهم
(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سميت بذلك من
التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أي تقربوا
قال النووي . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين
الصلاتين كانتا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابي اسمه

أحد بنى وايش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمار له اسود أجاز
الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به فقيل (أصبح من غير أبى سيارة)
وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه
يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره (٣)
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخطبهم فيقول
لا هم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه (٤)
لا هم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجليد فق أبى سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد (٦)

اللهم حبيب بين نساءنا - وعاد بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أو فوا
بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كما نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو والشيبانى والسكابى وقد جمعنا بين أقوالهم
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة تطلع عليه
الشمس قبل كل موضع أى ادخل ياثبير فى الشروق كما نسرع للنجو ولم يقرهم
الاسلام على ذلك . فى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبح ثم
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) روايه : خلوا السبيل
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره
من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٤) لان من قضاءه محلين (٥) الكيد المكروه و (الجليد)
الصلب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ثبير وان النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس
 فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون
 فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من الابل قلدوها النعال وألبسوها
 الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحلين من طيى وخشعم
 قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته ينخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)
 لأن لم تغير بعض ما قد صنعتم لا تتحين العظم ذوانا عارقه (٣)
 يقول حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أعلمت بكراتهما بعلامة الاهداء
 يسرع بصحراء ذلك الموضع صفارها لأن لم تتدارك ما فاتنا من عدلك لا ميلن
 على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أ كسر عظمكم
 ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم - وأول من أهدى البدن الى البيت على ما ذكره
 السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو علقمة الفحل
 حلفت بما ضم الحجاج الى منى وما نج من نحر الهدى المقلد (٤)
 وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فليل للشنفرى هذا قاتل أبيك

(١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع
 جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لتصان به و (الاشعار) أن يطعن السنام
 فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى الى الحرم
 من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)
 جمع بكرة وهي الشابة من الابل و (ينخب) من الخبب وهو خطو فسيح . والباء
 من بصحراء بمعنى في و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجمع
 وهي صفار الابل والضمير في بكراته ودرادقه للهدى (٣) وانتحين من الانتحاء
 للشئ وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم
 أكلت ما عليه من اللحم (٤) الشج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى
 الى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجله وقال
 قتلت حراما مهديا ببلد بطن أمي وسط الحجيج المصوت
 وقال أبو قيس بن الاسلم من قصيدة يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول
 الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

يرى طالب الحاجات عند بيوتكم عصاب هلكتي تهدي بعصاب
 لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباب
 قال البرقي الجباب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب
 تفتخر بها وتعظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضا وشاهده ما روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه
 الهدى سبعين بدنة وقد جلها وأشعرها وأشعر المسامون بدتهم وقلدها وليس
 معهم الا السيوف في القرب فسمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم
 وعاهدوا الله الا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبدا ونزل رسول الله بالحديبية
 وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت اليه قريش رسالات طاب منه الانصراف
 عن مكة عامه فمن بثوا لذلك الحليس بن علقمة وكان يتأله - والمتأله المعظم
 لأمر الله كالحج والعمرة ونحو ذلك مما بقي عندهم من دين ابراهيم عليه السلام
 فلما رآه رسول الله قال لا صحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في
 وجهه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد أكل أوباره
 من طول الحبس عن محله قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
 ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله أعظاما لما رأى وصاح قائلا هلكت قريش
 ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عمارا وقال لا صحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت
 فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على أنهم كانوا يسوقون
 الهدى في العمرة أيضا وكانوا يخلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رهوس رجال حلقت بالمواسم (١)
وقال زهير بن أبي سلمى

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طفل (٣)
وذكر صاحب تاج العروس في مادة (قرر) ان ابن الكلبي قال عيرت
هوازن وبنو أسد بأكل القررة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رهوسهم
بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رهوسهم سقط الشعر
مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس
ياخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينتفعون بالدقيق قال الشاعر
لم تر جرما أنجبت وأبوكم مع الشعر في قص الملبد شارع
اذقرة جاءت يقول أصب بها سوى القمل ائى من هوازن ضارع

ولم تكن العرب قاطبة تحلق رهوسها فى منى وشاهده قول ابى المنذر
« ان الأوس والخزرج ومن بأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها
كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رهوسهم فاذا تفرروا
أنوا مناة فحلقوا رهوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك .
فلا عظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وداعة المزنى أو غيره من العرب
انى حلقت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج
وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج
فلذلك يقول عند محل آل الخزرج «

وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها
و (سحقت) حلقت . يقال سحقت رأسه وسبته وحلطه حلقه ويروى سحقت
بالفاء ومعناه حلقت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى
وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله
(الا أن يعرجنى طفل) أراد الا أن تلتى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صعدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وقال الهذلي

لأدر كههم شعث النواصي كأنهم سوابق حجاج توافي الجمرا (١)
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة
تدفع بالناس من عرفة وتجز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمي
الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل
الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالجارق ويستعجلونه
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة
بجانب العقبة فخبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى
يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك
حتى انقضوا فورهم في ذلك آل صفوان بن جناب بن شجنة » وقد أقر قصي
ابن كلاب لما غلب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنساء على ما كانوا عليه
لانه كان يراه ديناً . فزالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آباءهم
فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم الطعام ويحمل الحملات والديات ليس لهم
ذكر غير فعال آباءهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم
فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكراً »

ثم يحنمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان
محرمًا في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً
وبني كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويعكفون عندها يوماً . وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التي على ساحل البحر
مما يلي قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية في الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء
المعري في رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم
لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك
أخو بنات بفدك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولهم
لبيك يا معطي الأمر (٢) لبيك عن بنى النمر
جئناك في العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر
يطرق بالسيل الحمر (٣)

ومنها من منهوك المنصرح كقولهم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٤)
نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيلة الفخمة الرجيلة (٥)
ونعمت القبيلة جاءك بالوسيلة

تؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فدك) قرية بخيبر (٢) الامر
ككثف المبارك (٣) الزمر ككثف القليل الشعر والصوف (٤) الحمر ما وارثك من
شجر وغيره (٤) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و(ناقة مذعان)
منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا تعبدأ ورقا
جئناك للنصاحه لم نأت للرقاحة (١)

وروا في تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عنج يا تونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتبوك فاسمع دعاء في جميع الاملوك (٤)
ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنينا وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها
(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر
وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية منعه العاص بن وائل
ثمن بضاعة اشترها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقائم من بني سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتمارهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله
رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود
الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم
الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العنج الجماعة من الناس (٣) لبوك
أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملكاه وملاك
وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجزء الفجور فى الارض وكانوا يسمون المحرم صفرأ (١) ويقولون : اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عمياً (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب فى الجاهلية ويفتى فى الحج) أقبل معتمراً ومعه ركب فنزلوا بعض المنازل فى يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد فى ذلك الوقت . فقال فى ذلك كرب بن جبيلة العدوانى .

وصك بها نحر الظهيرة صكة عمى ولا يبنين الا ظلالها (٨)
وجئن على ذات الصفاح كأنها نعمام تبغى بالشطى رثالها (٩)
فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا فى الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا
قال ابن الاثير فى الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

(١) هو النسبى وتقدم (٢) برأ نقه و (الدبر) الجرح الذى يكون فى ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السفر وكان يبرأ بعد انصرافهم من الحج (٣) عفا الاثر (أى درس وامحى أثر الابل وغيرها فى سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابى المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم فى نفس الامر وقد سموه صفرأ (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن يجعلوها الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لسكل ما حرم بالاحرام حتى قربان النساء فأجابهم النبى بانه الحل العام لسكل ما حرم به (٨) عمى تصغير أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها)
(٩) الرثال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويلتق المعتمر على يديه كرايف (١) النخل
الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا يتطهرون من الحدث الا صغر والا كبر في الجاهلية ويصلون ويزكون
ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب
كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .
وكانت تفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ما ذكره الزجاجي
في أماليه قال (وكان الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويفتسل من
الجنابة ويفسل موته ويختنن فاجاء الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب
الغسل عندهم الجنابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على
الاغتسال عند انقطاع الحيض ما روى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها
في سفر وكانت حائضا فطهرت ومعها ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها
وأقعدت الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التي جرت مثلا . وفيها
قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)
وقال المخبل

ان قشيرا من لقاح بن حازم كغاسلة حيضا وليست بطاهر
والغسل والوضوء فيهم من آثار الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام
السهبلي يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمسه ماء
من جنابة حتى يغزو محمدا مانصه (في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان
معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح
ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرايف جمع كرناف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السعف

الغلاظ العراض تبق في الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعني قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره - وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجيء من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدتها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين . وكان قيس بن ساعدة الايادى يصلى . والمحفوظ من الصلاة فى أمم اليهود والمجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخى صليت سنتين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهنى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة فى صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حراء فقال يا عامر انى قد فارقت قومي وأتبعت ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني فى الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة فى صلاته ويقول يا مولاي :

لبيك حقا حقا تعبدنا ورقا
البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال
عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم
يقول أنفى لك عان راغم مهما تجشمنى فانى جاشم

ثم يسجد - وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة
من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيتهم وجرت السنة عندهم
باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدا قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب
في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن
السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في
نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته .
قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا يخزيك الله أبدا انك
لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة
ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبي بكر « هذا
ولاشك ان هذه الشائيل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة
لا يخزيك الله أى لفعالك ما أمر به وفي رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى
لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التي وردت بها الشرائع السماوية وحكى
بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد اذكر
ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء
وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت
كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال
من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل
بأمره وحمل الكل الاعانة بالاتفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق
الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء
أو يراد بها باطنها

فستلوا عن ذلك . فقالوا هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له . فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه . قال النووى . وكان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود فى الجاهلية وتتخذة عيدا ويلبسون نساءهم اللباس الحسن والخلى قال المرحوم محمود باشا الفلكى فى كتابه نتائج الافهام فى تقويم العرب قبل الاسلام « وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدتم صائمين ذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم أو هو التاسع منه كما يقول ابن عباس . فكيف يكون فى ربيع الاول . وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه فى ذلك الزمن أى زمن قدومه صلى الله عليه وسلم كان وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يؤيد ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : ليس يوم عاشوراء الذى يقول الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله . وكان يدور فى السنة . وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه « ثم نقل عن البيرونى فى كتاب الآثار انه قال « وقد قيل أن عاشوراء عبرانى معرب عاشور وهو العاشر من تشرى اليهود الذى صومه صوم الكبور وأنه اعتبر فى شهور العرب فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم كما هو اليوم العاشر من أول شهور اليهود » ثم قال فمن جميع ما ذكر يفتج أن النبي دخل المدينة فى ١٠ تشرى وقد فرض فى التوراة صوم هذا اليوم واختلف الرواة وأصحاب السير فى يوم دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة أهو اليوم الثانى أم الثامن أم الثانى عشر من ربيع الاول كما أنهم اتفقوا على أن هذا اليوم كان يوم الاثنين (١) وعندى أن أرجح

(١) دعواه الاتفاق ممنوعة فقد حكى السهيلي أن ابن الكلبي قال .
خرج عليه السلام من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة
(١٠)

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة. وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليفة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يارسول الله اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام . قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت تعد المجاورة قربة . لما رواه عبيد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر (١) وشاهده قول أبي طالب

ونور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء للتعبد فيه وبالنازل منه .

وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدا به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول ما نزل عليه الوحي كان بحراء في جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه (١) العرب تقول التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون بالفاء الناء وتفعل تقتضى الدخول في الفعل وهو الاكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل في الحنيفية وفي البر (٢) نور وثبير جبلان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراق لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد
ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه
ليكشف ما نزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعت

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد
ذكر أن عادا أصابهم قحط فتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .
وكان مسلما يكرم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر . ولقمان بن
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء
ملاها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ سرت به فأهلكهم الله
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي

في كل عام لنا وفد نسيرهم نختارهم حسبا منا وأحلاما

كانوا كوفد بني عاد أضلهم قيل فأتبع عام منهم عاما

عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم الا مغانيهم قفرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة
والبلاغة . فن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمي رقيقة بنت
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب . قالت تتابعت
على قریش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم
وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فبينما أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا

(١) اللدة الترب بكسر التاء أي النظير في السن (٢) أمحلت أقحطت (٣)

أقحلت أي بست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صجل (٢) أقشعر له جلدي يقول :يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلمتكم (٣) أيامه وهذا أو انه وابان نجومه (٤) خفيها بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضاً أو طف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم العرين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسوا (١١) من الماء ولجسوا من الطيب ثم ليستاموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعا وليرتقوا بأقبيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغتم (١٣) اذا شتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قد قف لها جلدي وولاه عقلي (١٤) فاقتصصت رؤياي فتمت (١٥) في شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحي الا قال هذا شبيهة الحمد عبد المطلب (١٦) وتامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصجل صوت فيه بحة (٣) أظلم دنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حبهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أو سطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلى وفي رواية أو طف الاهداب و (الاطوف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفردة هذب (٧) سهل الخدين قليل لحمهما (٨) شمم العرين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من بطون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهملة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غتم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالقاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده) يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) تمت بتشديد الميم فشت ومنه التام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ما صفر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا
الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا بأقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك
سعيهم مهلة حتى يحلوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد
الخلّة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه
عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف
وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدقا ودقا
(٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه
(١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء
اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفي تمدحه عليه
الصلاة والسلام

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلود المطر (١٢)

و(الحرم) حرم مكة و(الابطحى) هو القرشي من مكة خاصة و(شبية الحمد)
هو عبد المطلب (١) تنامت اجتمعت و(انقض) أسرع (٢) طفق دام و(يدفون)
يتداولون (٣) ذروة كل شيء أعلاه و(استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه
و(جنابته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و(كرب) من أفعال
المقاربة والمعنى أو قارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد.
ويروى عبداؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و(بعذرات
حرمك) أى بافنائها (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلهما كالتقدم للانسان و(الخف)
للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و(المفدق)
الكثير القطر و(الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و(كظ) الوادي أى ضاق
بالماء لكثرتة و(ثجيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من
استبان فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى
الثمانين و(جلتها) عظماؤها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و(اجلود)

نجد بالماء جوني له سبل دان فعاش به الانعام والشجر (١)
 منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
 مبارك الامر يستسقى الغمام به مافي الانام له عدل ولاخطر (٣)
 وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيعا . وذلك أن
 قريشا أجدبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر
 المصطفى وهو رضيع في قماط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة
 ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا
 الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاطلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي
 ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
 يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده في نعمة وفواضل
 ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسند كرخبر خولان وتوسلهم
 لصنمهم عميانس بالذبايح ليسقوا .

ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا
 عليه من البقر وعقدوا في أذناها وبين عراقيها حزما من السلع والعشر (٦)
 وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في جبل وعرفوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الأبيض والأسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر
 (٢) من عليه أنعم و(الميمون طائره) أى السعيد حفظه و(مضر) قبيلة من
 العرب (٣) فى رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق
 و(العدل) بالكسر مثل الشئ و(لاخطر) أى لا مثل له فى علوه (٤) قد عبر عن
 الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و(التمال) العماد
 والملجأ والمطعم والمغنى والكافى و(العصمة) ما يعتم به ويتمسك (٥) فى
 رواية يلوذ به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا
 لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتحيتين و(العشر) بضم ففتح ضربان
 من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع
والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج النيران يستجلبون
بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

سنة أزيمة تبرح بالناس ترى للعضاه فيها صير (١)
لا على كوكب تنوء ولا ربح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)
اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
ويسوقون باقر السهل للطود مهازيل خشية أن تبورا (٤)
عاقدين النيران في ثكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا
فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى صبير صبيرا (٥)
فراها الآله ترسم بالفطر وأمسى جناهم ممطورا (٦)
سملع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزيمة أى شديدة وفي رواية سنة جذبة و (تبرح بالناس) تصيبيهم
بشدة الاذى و (العضاه) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخيط أو كل ذات
شوك و (الصير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع
آخر يقابله من ساعته و (ريبح الجنوب) هى التى تخالف الشمال ومهبها من
مطلع سهيل الى مطلع الثريا - مافى السماء (طحرور) وطحرورة أى لطح من
السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و (الفطير) من العجين ما اختبرته من ساعته
ولم تخمره (٤) الباقر البقر و (الطود) الجبل أو عظيمه و (تبور) تهلك (٥)
الصبير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يصير بعضه
فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و (الجاب)
الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى
معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين
المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر
و (البيقور) البقر و (عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كحل قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار

بالنار قال الشاعر

شفعنا ببيقور الى هاطل الحيا فلم يقن عنا ذلك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصيرجدب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذلك وعشر ليس بذات يجلل الارض المطر

وقال الورل الطائي يعيهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد « وإنما أضرمو النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق

بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى

وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الارض وأن

لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأخشائها ويفسلون الوجوه ببولها

ويجعلونها مهور نسائم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب

خذوا هذا الخذو وانتهجوا هذا المسلك » وللبقر عند قدماء المصريين أسمى

المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار

وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمرىكا انزال المطر بالدخان المتكاثف

فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أي أهلكه

وغالتهم غول يعني المنية «

(النذر)

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنزة العبسي في معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامي عرضي ولم أشتمهما والناذرين اذا لم ألقهما دمي
وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذل لا معروفه منكرو ولا حصر (١)
في فتية ليني المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا
يشوون للضيف والعفاة ويوفون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما نذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا ينذرون لاصنامهم أو للانتقام أو لغير
ذلك من الاغراض المختلفة التي لا يمكن استقصاؤها ولنذكر أمثلة منها
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرك

ومنها ما روى أن الحكم بن عبد يغوث المنقري نذر ليذبجن مهاة على
الغبغب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أياما فلم يمكنه فكان يرجع
مخفقا حتى هم بقتل نفسه مكانها فقال له ابنه مطعم احملي أرفدك فقال ما احملي
من رعه رهل (٤) جبان فشل فزال به حتى حمله فرمى الحكم مهاتين فاخطأهما
فما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

(١) المعذل كمعظم من يعذل لافراط جوده و (الحصر) البخل والعي في المنطق
(٢) العافي الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة
الوحشية (والغبغب) منحصر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد
الاعانه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم
من غير دا

فضربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى
ومنها أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن
عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطاً للكعبة فلما عاش لها الغوث وفت
بنذرها فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه
من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو اسرائيل وجملة
من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في
الايوس والخزرج من قد تهود وكان من نساءهم من تنذر اذا ولدت ان عاش
ولدها ان تهود، لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء
الذين تهودوا نزلت (لا اكره في الدين) حين اراد آباؤهم اكراههم على الاسلام
في أحد الاقوال »

ومن ذلك ما روى ان عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح قتل في غزوة احد
من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم
فيأتي امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بني من أصابك . فيقول
سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن ابي الاقلح فنذرت ان أمكنها
الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزمو قريش من
بدر نذر الایس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً

ومنها ما كان من عبدالمطلب بن هاشم فانه حين لقي من قريش ما لقي عند
حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه لينحرن أحدهم لله
عند الكعبة فلما بلغ بنوه عشرة وعرف انهم ما منعه جمعهم وأخبرهم بنذره
ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه . فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه
وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبدالله فمهم بذبحه فقامت قريش وقالوا
لا تذبحه ابداً حتى نعدر فيه لئن فعات هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما
بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها واتص عليها أمره أمرته أن يضرب
القداح على عبد الله وعلى عشر من الأبل فإن خرج قدح عبد الله زاد الأبل
عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الأبل فعاد إلى مكة
وضرب القداح وما زال يزيد الأبل حتى بلغت مائة فخرج القدح عليها
فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن
الذيحين وثانيهما اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة إن أحدهم كان إذا نزل به المكروه ينذر إن رفع عنه
إن يسب ناقته . فإذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلاء . وقد يسيبون
غير الناقة - وكانوا إذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا في الجاهلية
والإسلام فقد نذر في الجاهلية الأتهب الصبا الأنحر وأطعم . وهبت الصبا يوما
وهو بالكوفة مقتر بملاق فلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا
عليها لعثمان فخطب الناس فقال إن أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية
الأتهب الصبا إلا أطعم وألزم نفسه ذلك في الإسلام وهذا اليوم من أيامه
فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث إليه بمائة بكرة . وبعث الناس إليه
فقضى نذره وكتب إليه الوليد

أرى الجزار يشحد شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عامري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفي ابن الجعفرى بحلفتيه على العلات والمال القليل (١)

بنجر الكوم إذ سحبت عليه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبه فقد أراني ولا أعيأ بجواب شاعر

فانشأت تقول

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشياً أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاقته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الأبل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بني حام قعودا (١)

أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا

فعد ان الكريم له معاد وظنى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقه لم أفعل

ذبح الظبي في نذر الشاة - كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره صن بما

نذر لان من ألبانها غذاؤه وكره عدم الوفا. فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التي

يصيدها بعدد ما نذر من الغنم. وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك

القربان شاء كله مما يصيد من الظباء. قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما ته ترعن حجرة الرييض الظباء (٢)

أعلينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح في رجب وكانت العرب تنذره لآهتها فيقول قائلهم

ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبح

العتيرة والرجبية - ومعنى البيتين انكم الزتمونا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما

يذبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)

وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهى من أبيات الحماسة

لنذكرك والنذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالفوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهى الجبل و(حام) هو ابن نوح

أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية

والمراد بها هنا موضع الغنم و(الرييض) الغنم برعائها المجتمعة فى مرابضها

(٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و(الجسد) الدم اليابس والزعفران

وإذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و(العتائر) الذبائح

واضافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية. والهدى المذبح المظلوم هو الظباء

المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عتر الأطباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
والمعنى اننا وفينا ولم تقنع في أخذ تأرك بشئٍ يغنى عما نذرته كما تذبج
الطباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جويبا المزني مر على الاوس والخزرج وهم
يقتتلون والايوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب فر به ثابت بن
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرقع جوى رأسه اليه وهو يجود بنفسه
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت
كلمته قومه فوفوا له بما قال - فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر
طالبوها ومن هذا الباب قولهم في المثل (أفرع بالظبي وفي المعزى دثر) الباء
في بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفي المعزى كثرة - - يضرب مثلا لمن له
اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر في هذا الفصل عاداتهم التي منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم في ماء الغسل سديرا ونحوه ثم تتبع ذلك
تتميا للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه
وغير ذلك

نعم الموتى - قال الاصمعي كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر
ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول نعماء فلانا أى انعه وأظهر خبير
وفاته وهذا هو الناعى المراد بقول المتنخل الهذلى

(١) بزت الثياب سلبت

- أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
 رمح لنا كان لم يفلل ننوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)
 وقول أعشى باهلة يرثي أخاه لامة المنتشر
 انى أتتني لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر (٣)
 فظلت مكتئباً حرّان أنديه وكنت ذا حذر لو ينغم الحذر
 فحاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
 يأتني على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
 ان الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهى والغير
 ينمى امرأ لا تغب الحى جفنته اذا الكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)
 والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه
 المصيبة ولتعزية أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديدة الرمح
 الذى يطمن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضدير كان
 يرجع الي المرثى وجملة (لم يفلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يشلم من الفل بفتح
 الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشئ و (ننوء به) أى نهض به يقال ناء
 بكذا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تولى به وتقهر وهو بالفاء
 وروى بالقاف أيضا من الوقاية و (العزاء) بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة
 السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع جلى وهو الامر الجليل
 العظيم مثل كبرى وكبرى و غرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر
 و (سخر) بضم السين - والمعنى أتاني خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان
 كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن
 أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت)
 القوم جفنته جاءتهم يوم ما تركت يوما كغب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب
 مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق والعرب كانت تنسب نزول
 المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودي
 ألا عللاني واعلما انني تمرر فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر (١)
 وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت مفاصل أو صالى وقد شخص البصر (٢)
 وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غير
 وفي الاغانى أن أبا لهب لمات بالعدسة تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنانه
 حتى أنن في بيته . وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها
 حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان ان أباكما قد أنن في بيته
 لا نغيبانه . فقالا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا
 قدفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة
 وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو اشنان .
 ويغسلون بالسدر ونحوه ره وسهم ولحائم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت
 بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب
 رقابهم بحجر الاملاك في ديار بنى مرين

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
 ولم تغسل ره وسهم بسدر ولكن في الدماء مزملينا (٣)
 وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك
 تخنيط الميت كانوا بعد غسل الميت يحنظونه والحنوط كصبور وكتاب
 عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت
 وذكروا أن منشا كانت امرأة تبيع الحنوط في الجاهلية . فقيل للقوم

(١) التمرر بالنفس التعريض للخطر - مصدر يراد به اسم المفعول
 (٢) والواصل المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فتح عينيه
 وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق النبق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل
 و(تزمّل) تلفف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى . وروى ان أول
من طيب الموتى بالحنوط مقسم بن بهر القضاعى
كفن الميت - كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة
الايادى .

يا باكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق (٢)
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نومانه الصعق
وقال عنبرة العبسى
وأحمى حمى قومي على طول مدتى الى أن أرانى فى اللغائف أدرج (٣)
وقال حجبة بن المضرب يخاطب النعمان بن المنذر
ان كان ما بلغت عنى فلامنى صديقى وشلت من يدى الانامل
وكفنت وحدى منذرا فى ردايه وصادف حوطاً من أعادى قاتل (٤)
وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم فنذروا به
ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجبة بن المضرب
وكانت أخته فكيفة بنت المضرب تحث ضمرة بن ضمرة . فنذر بنو تميم
بالنعمان فهزموه . (٥) فاتهم النعمان حجبة أن يكون أنذرهم فقال البيتين
وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين النسيج اذا كان عظيماً . وشاهده ما
يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر
فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة . اذا
أصبتنى أو دريدا فقد أصبت نارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجدث القبر و (البز) الثياب (٣) اللغافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لغائف يراد بها هنا الكفن
(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غريباً لا أجد معيناً وقوله
فى ردايه أى لا أجد كفناً يليق به و(المنذر) أخو حجبة الشاعر و(حوط)
ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشئ كفرح علمه فخره و(انذره بالامر) أعلمه
وحذره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال : فأروني قبره . فأروه إياه . فلما رأى
القبر جزع عنده ثم قال ؛ كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي . فوالله ما
بت مذعقت الا و آترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية فما ذقت
طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فأبكين سيد قومه واندبته شدت عليه قباطي الا كتمان (١)

وقد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكفن في شعر يزيد بن حذاق
قال ابن قتيبة انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره حيث قال
هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق
وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرجوني كاني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباق
وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق
هون عليك ولا تولع باشفاق فانما مالنا للوارث الباقي
وجاء الشرع الاسلامي فأقر تحنيط الميت وتكفينه . وكره تسريح شعره
الصلاة على الميت - كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل
وحمل على سريره ان يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه . قال رجل من
كلب في الجاهلية لابن ابن له

اصمرو ان هلكت وكنت حياً فاني مكثرت لك من صلاتي

قيل وأول من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكي .
ومن بليغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من
ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير
الى قتال المختار فلما دفن قامت امرأة على قبره من بني منقر فقالت : لله درك
من محن في جنن ومدرج في كفن ففسأل الذي لجعنا بموتك وابتلانا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة
الى القبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطى بالتشديد وقباطى بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويفقر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وانا فأتلون حقا ومثنون صدقا . وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء . ثم اقبلت على القبر فقالت : اما والذي كنت من أجله في عدة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميدا مودودا ولقد مت فقيدا سعيدا وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وان كنت من الرجال لشريفا وعلى الارامل عطوفا وفي العشرة مسودا والى الخلفاء موفدا . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرايك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبليغ ولا أصدق معنى منها

سرير الميت - كانوا يحملون الميت اما عنى الحرج وهر خشب يشد بعضه

الى بعض قال امرؤ القيس

فاما تريني في رحالة جابر على حرج كالقمر تخفق أكفاني (١)

وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيدة في المخصص . وعلى اختصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندي في صبح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى ما يقتضى ان أول امرأة حملت في نعش هي فاطمة بنت رسول الله وذلك انها بعد وفاة أبيها مكثت سبعين بين يوم وليلة . فقالت : لاسماء بنت عميس انى لاستحبي من جلالة جسمي اذا أخرجت على الرجال غدا وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفيها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيت به بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فخنثتها ثم طرحت عليها ثوبا . فقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضا . وجابر من

بنى تغلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و(الحرج) خشب يحمل فيه الموتى و(القر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل. فاذا أنامت فأغسليني أنت وعلى ولا تدخلني على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخلني فشكت الى أبي بكر قالت : ان هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس فقالت أمرتني ألا أدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية فأمرتني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرته اسماء النعش تبسمت وما رويت متبسمة بعد موت النبي عليه السلام الا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر (فاطمة أول من غطى نعشها من النساء في الاسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك) وعلى ذلك فأرلية زينب بنت جحش التي حكاهم القلقشندي انها هي بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشيع الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريره حملوه وساروا به الى

القبر . قال حاتم الطائي

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبني اذا مانعته حملا

وقالت الخنساء ترى صخر

وقائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهف نفسي على صخر

الا نكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل النيران في تشيع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام

(١) منعت الحنفية الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر اليها

وأجازته الائمة الثلاثة وحجتهم غسل على لفاطمة واحتج الحنفية بقوله عليه

السلام كل سبب ونسب ينقطع بالموت الا سببي ونسبي مع أن بعض الصحابة

أنكر على علي ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سنا (١) ثم أقيموا حولي قدر ما تخرج جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي
قولهم للجنازة - كانوا يقومون للجنازة ويقولون كنت في أهلك ما أنت

مرتين . وشاهده مارواه البخاري في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يمشى بين يدي الجنازة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة أنها قالت كان أهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أى يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذى كنت فيه . أى الذى أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت نصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس . ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للميت ويحتمل أن تكون ما نافية ونفـظ مرتين من تمام الكلام أى لا تكونى فى أهلك مرتين المرة الواحدة التى كنت فيهم اتقضت وليست بعائدة اليهم مرة أخرى . ويحتمل أن تكون ما استفهامية أى كنت فى أهلك شريفة فأى شئ أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه

مقابرهم كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال
عنبرة العيسى

بالله ما بال الاحبة أعرضت عنا وراحت بالفراق صدودها
رضيت مصاحبة البلى واستوطنت بعد البيوت قبورها ولحودها
وقال حاتم الطائي

(١) سن التراب صبه فى سهولة (٢) القبر مدفن الانسان و(اللحد)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون فى عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرت يوم ما وضاق بها الصدر
 اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملحودة زلخ جوانبها غير
 وراحوا سراعا ينفضون أكفهم يقولون قد دى أنا ملنا الحفر
 ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها
 الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)
 وقال لبيد بن ربيعة العامرى

وهل هو الا ما ابتنى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا
 وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أخوا الخنساء لما قتلتها بنو مرة
 رأيت مكانه فمطقت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر
 الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السمات صمر (٣)
 وبنيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
 وقال البرج بن مسهر الطائى

نطوف ما نطوف ثم ياوى ذوو الاموال منا والعديم
 الى حفر أسافلهم جوف وأعلاهم صفائح مقيم (٤)

وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخرها
 فى جوف رمس مقيم قد تضمنه فى رسمه مقمطرات وأحجار (٥)

- (١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين
 ثنية جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة
 وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض
 (٣) الارم كعنب العلم و (الصير) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم
 (٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفائح) حجارة عراض رقاق
 (٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نفرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدىن وهوب (٢)

لا تنفرى ياناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)

وإذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتاً أو بناء مشرفاً كأطم من الآطام مباحاة ونخراً وتعاظماً وزهواً فنهاشم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلhel التغلبى من قصيدة فى رثاء كليب أخيه وكانت على قبره قبة ربيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار

فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار

وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار

ومن ذلك ما رواه الاصبهانى فى الاغانى عن الاصمعى وأبى عبيدة ان رجلاً من غنى . يقال له قيس الندامى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيداً جواداً فلما حفل المجلس . أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال لاضمن تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما شاء ونادمه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طىء خرجوا اليه وهم لا يعرفونه فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لا ياد له كانت فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتاً — وقد بنى المنذر الاكبر الغريان وهما منارة ان على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن فضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى صندوق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً .

(١) فى الاغانى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضاً انه

لضرار بن الخطاب الفهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو

ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يروها لكرز بن حفص

ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض

ذات حجارة نخرة سود (٣) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر - من عاداتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك . حكى أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائبا فلما قدم . مر بقبره فقال ماهذه الانصاب . قالوا نصبناها على قبر عامر . فقال ضيقتم على أبي علي وأفضلتم منه فضلا كثيرا ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحا أبا علي . فوالله لقد كنت تشن الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بإيعادك وكنت لا تفضل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل . وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وساده ثم قال أسلم يا عامر . قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضبا فولى وقال . لاملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولا ربطن بكل نخلة فرسأ . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بنى عامر واشغل عنى عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت فخرج عامر فأخذته غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : ياموت ابرز لى . غدة مثل غدة البعير وموت في بيت سلولية .

نضح القبر بالخر - كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخر قال نصر بن غالب

أصب على قبريكما من مدامة فلا تذوقاها ترو تراكما
وقال حاتم يوصى امرأته بنضح الخمر على قبره

(١) كذافي الكامل للمبرد وفي مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره

نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطفة من الحجر ربا فانضجن بها قبرى
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت
لها السقيا قال النابغة الذبياني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن
أبى شمر الغساني

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمى قطر ووابل (١)
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)
وينبت حوذانا وعرفا منورا ساتبعه من خير ما قال قائل (٣)
وقد أوصى المتلمس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه
خليلى امامت يوم اوزحزحت منايا كما فيما يزحزحه الدهر
فرا على قبرى فقوموا فسلما وقولا سقاك الغيث والقطر باقبر
وفال مهمل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث انك كنت غيثا ويسرا حين يلمس اليسار

والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة

وقد اختلف فى سبب استسقاؤهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن
أيوب البطليوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العبسى من رثاء بنيه
سقى الله أجدانا ورائى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يثيره على
منتواه . و (يثيره) أى يهيج رائحته ويذكيه و (منتواه) موضع تباعده
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .
وقوله (ساتبعه من خير ما قال قائل) أى سأئنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر
ولو يستطيعون الرواح تزوحوا معي وغدوا في المصبحين على ظهر (١)
لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شداً القبض بالاسل السمر
والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهدوها غضة من الدروس طرية لا يتسلط
عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :

فلا سقاها الا النار تضطرم * وقال السهيلي عند قول كعب بن مالك في
رثاء من قتل من الشهداء يوم موة

صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور
أحبها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد .
وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فلهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموة وليس
معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلي حيث كان رميمها
فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقياً معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور
استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى
ابن عبد ربه في كتاب النسب من العقدا الفر يد أن رباب بن زيد بن عمرو بن
جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي وفد عبد القيس .
وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله
ومنا الذي بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر
وفي المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رباب (٢) هو من عبد القيس من شن .
وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى

(١) أى لغدوا في صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا في بطنها
مع الاموات (٢) في السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء

خير أهل الأرض ثلاثة رثاب الشني وبجيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن إلا رأوا
طشا على قبره) والطنش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضجه بالدماء — كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد
الشريف الخليل أو النوق وبنضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الأبل
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف في سبب عقرهم الأبل على
القبور فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقر من
الأبل في حياته وينجره للاضياف واحتجوا بقول زياد الأعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبايح

وقد قال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبجون للاصنام
وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن الأبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فسكانهم
يثأرون لهم منها . وقيل إن الأبل أنفس أمواهم فسكانهم يريدون بذلك أنها
قد هانت عليهم لعظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادي في خزائن الأدب .
والشواهد على عقر الأبل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد في الكامل
أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشي فترحم . وقال : لولا أن القول لا يحيط
بما فيك والوصف يقصر دونك لا طنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشي ناقتي بابيض غضب أخلصته صياقله

على قبر من لو انى مت قبله لهانت عليه عند قبري رواحله

وقال حريبة بن الأشيم الفقعسي يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

إذا مت فادفني بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فإن انت لم تعقر على مطيتي فلا قام في مال لك الدهر حال (٢)

ولا تدفني في سوى وادفني بديمومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب إذا ضرب قوائمه به لا يطلق

العقر في غير القوائم وربما قيل عقره إذا نجره كذا في المصباح (٢) يدعو عليه

بفقد ما يحلب من الشاء والأبل إذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى
 بالعقري الحسان ان أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر
 في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الايات واستشهد بها على ما كانوا
 يعتقدون في البلية وقلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الايات دلالة على
 هذا المعنى ولا لها به تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما
 لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا
 يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في
 هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان ان قوله أو يفوز راكب
 فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادقنى بفلاة جداء مقطوعة
 عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي
 المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل انها تسمى مفازة من فوز أي
 هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في اراده في هذا الباب
 كما اخطأ في هذا الباب أيضا في اراده قول مالك بن الريب

وعطل قلوصى في الركاب فانها ستبردا كبادا وتبكي بواكيا
 فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد
 لا تركبوا راحلتي بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادي وأصادق ذاهبة
 جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالى في الامالى قال لما مات عمرو
 ابن حمزة الدومى وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبوره ثلاثة نفر من أهل
 يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم
 ابن الهدم الذى نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة
 ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذى كانت بسببه حرب حاطب
 فعقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة
 و (نزو) تثب و (الجنذب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً
 حليم اذا ما الحلم كان حزامه
 اذا قلت لم تترك مقالا لقائل
 ليبيك من كانت حياتك عزه
 سقى الارض ذات الطول والعرض مثجم
 وما بي سقيا الارض لكن تربة
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلاء والجود والمجد والندى
 لقد غال صرف الدهر منك مرزاً
 يضم العفاة الطارقين فئاؤه
 ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة
 ويستهمز الجيش العرمم باسمه
 وينقاد ذو البأو الابى لحكمه
 ويمضى اذا ما الحرب مد رواقه
 فأما تصبنا الحادثات بنكبة
 طواك الردى ياخير حاف وناعل
 نهوضا بأعباء الامور الاثاقل
 كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)
 كما كشف الصبح أطراق الفياطل (٦)
 وان كان جرارا كثير الصواهل
 فيرتد قسراً وهو جم الدغاؤل (٧)
 على الروع وارفضت صدور العوامل (٨)
 رمتك بها احدى الدواهى الضآبل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزيئة المصيبة كالرزء
 (٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصفر خلاف العظم
 (٤) مثجم أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شىء
 و(الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد
 والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و (قبائل الرأس) واحده قبيلة
 للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجى) الظلمة و(الهيجا)
 الحرب و (اطراق) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطة) الظلمة أو
 اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو
 الفخر و (الدغاؤل) الدواهى (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و(عامل)
 الرمح وعاملته صدره (٩) الضآبل الدواهى واحدها ضآبل

- فلا تبعذن ان الختوف موارد
وقام حاطب بن قيس فقال :
- سلام على القبر الذي ضم أعظما
سلام عليه كلما ذر شارق
فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطف
تضمنت جسما طاب حيا وميتا
فلو نطقت أرض لقال تراها
الى مرمر قد حل بين ترابه
فلو وألت من سطوة الموت مهجة
فلا يبعذنك الله حيا وميتا
وقد كنت تمضى الحكم غير مهمل
لعمرى الذى حطت اليه على الونا
لقد عدم العلياء موتك جانبا
- وكل فتى من صرفها غير وائل (١)
تحوم المعالي حوله فتسلم
وما امتد قطع من دجى الليل مظلم (٢)
عليك ملك دائم القطر مرزم (٣)
فأنت بما ضمنت فى الارض معلم
الى قبر عمرو الازد حل التكرم
وأحجاره بدر وأضبط ضيفم (٤)
لكنك ولكن الردى لا يشتم (٥)
فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم
اذا غال فى القول الابل الغشمشم (٦)
حدايير عوج نبيها متهمم (٧)
وكان قديما ركنها لا يهدم

ومن العقر على القبور فى الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود
وخالد بن نضلة الاسديين الابل والخيل وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما
الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر فى كل سنة فيقيم
عنده وينادمانه وكانت اسد وغطفان لا يدينون للملوك ويفرون عليهم فوفدا
سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

- (١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) المثلث السحاب الدائم المطر (والمرزم)
الرعد الشديد صوته (٤) المرمر القبر (الاضبط والضيفم) اسمان للاسد
(٥) وألت نجت ويشتمم يبطن ويشتمم يحرك ويدفع (٦) المهمل المتوقف يقال
حمل عليه فما همل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذى يركب رأسه ولا يشفيه
شىء مما يحب ويهوى (٧) الحدايير جمع حدباروهي المنحنية الظهر (والتي) الشحم
و (المتهمم) الذائب (٨) فى القاموس الغرى كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان
مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من
الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دنت تميم وربيعة فقالا أبيت اللعن هذه
البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاذا شئت
أجبنك فعلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسقاها سما فانصرفا
من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الليل أحس
حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام
اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمره مثل ذلك فكان حاله كحال
وأصبح المنذر نادماً على قتلها فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن
أسعدك الاهل نديماك وخليلاك تتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبيب
أعلى الموت تستعديني وهل ترى الا ابن ميت وأخا ميت ثم أمر حفتر لهما
قبران بظاهر الكوفة فدفنا فيهما وبني عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على
قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيرا وغراهما بدمائهما وجعل يوم نادمهما يوم
نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصبهاني في الاغانى أن حسان بن ثابت

لما مر بقبر ربيعة بن مكدم قال يعتذر لعدم عقر ناقته على قبره

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)

نقرت قلوبى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدى وهوب

لا تنفري يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٢)

لولا السفار وبعد فقر مهمه تركتها تحبو على عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبة أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى

وقدمنا انفا من تنسب له هذه الايات أيضاً . و (الذنوب) الدلو العظيمة

وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء . وقد استعاره للغيث . وربما

جعل الذنوب فى الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة فى أسعار الحرب

(٣) المهمة المفازة . و (الحبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير

المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سود الحدق
ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقدة الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن
مكدم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره ؛ لما قدمناه ومنه يظهر ان العقر
من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيضة ولمشابهته القربان الذي يقدم للاصنام
نهى عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من
نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهلال بن
العلاء الرقي (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفي الاسلام على قبر
المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور، وقال زياد الاعجم يرثي المغيرة
ابن المهلب بن أبي صفرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والبكرين وللمجد الرائج (١)
ان السماحة والمروءة ضمنا قبرا بمر و على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح (٢)
وانضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبايح (٣)
يروى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاد وكل طرف ساجح
قال له مهلا عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو

يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا
يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادا فانك عاقر
(١) روى أبو الحسن . والغزى اذا غزوا و (القوافل) جمع قافلة وهي
الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز
(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع
كوماً بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلاد) جمع جلدة وهي أدمم الابل
لبنا و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (ساجح) جار بقوة . و يروى
كل طرف طامح (٣) النضج الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده
ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس
ومن ذلك قول الفرزدق يرثي بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على
قبره من قصيدة أولها

أعيني الا تسمداني ألمكما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبيرة تسفحائها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)
ولو أن قوما قاتلوا الموت قبلنا بشيء لقاتلت المنية عن بشر
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطاقة والمخصر (٤)
أغر صريحاً أبوه وأمه طويل أمرته الجياد على شزر (٥)
أنه سهل عندي بعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فرس عند الجنازة والقبر (٧)
حلفت له لا يتبع الخيل بعداً صحيح الشوى حتى تكوس من العقر (٨)
أنت شحيحاً أنت ركبتهك بعدها ليوم رهان أو غدوت ممي تجرى
وقال أبو عبيدة دعوى الفرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب
و(كانوا) يطعمون ما يعقر للفقراء والمساكين

وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق)
الكريم (٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوبك
السراة قوى الظهر (٥) الصريح فرس عبد نعوث بن حرب وآخر لبني
نهشل وآخر للخم و(أمرته) فتلتها و(الشذر) قتل الجبل عن اليسار . والمعنى
ان آبائه أورتته القوة (٦) المذكر من السيوف ذو الماء و(الضريبة)
حد السيف و(الأثر) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل
(٧) الجنازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس)
البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرّف

أبيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
 اندبا الماجد الكريم أبا اسح— اقرب المعروف والاحسان
 واذهباني ان لم يكن لكماعق— ر الى جنب قبره فاعقراني
 وانضجا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

العقر تضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيول عند نزول
 الموت أشعارا بأن أتقس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون
 عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح
 الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفر وبعد قعر مهمه لتركتهما تحبو على عرقوب

كانت العادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى
 للاضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك
 نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو مايجري مجراه فصار هذا
 يعتذر من ابقائه على راحلته وقال في شرح قول جرير يرثي قيس بن ضرار
 ابن القعقاع

وحقّ لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوجناء أن خف زادها

كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهو في صحبة أحب أن ينوب عن
 المقبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته
 اكراما لذلك قال : وان تعقر الوجناء ان خف زادها — ثم قال وذكر الحمري ما
 يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوجناء ان خف
 زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المغيرة

ألا هلك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يؤوب

فان لم يكن زاد فان قصاره من المفريات صعبة وركوب

ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد في الكامل عن لهدم مكاتب لبني
 منقر حين ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن
 في عمامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلى غالب عدت بعد ما خشيت الردى او ان أورد على قسر
 بقبر امرىء تقرى المثين عظامه ولم يك الا غالباً فبت تقرى
 فقال لى استقدم أمامك انما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر
 قال المبرد يريد بقوله تقرى المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند
 قيور عظامهم فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم
اتخاذ البلية - وقد كان من مذهبهم فى الجاهلية اتخاذ البلية وهى ناقة
 تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعى من قصيدة يرثى بها المطلب وبنى
 عبد مناف جديماً حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف فى قوله

يا عين فابكى أبا الشمت الشجيات بيكينه حسراً مثل البليات (١)

بيكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات

وقد بين مذهبهم فى ذلك ابن أبى الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم
 بلوا ناقة أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها فى
 حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت
 وملى جلدتها ثماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبلى عليه حشر ماشياً ومن
 كانت له بلية حشر راكباً على بليته» وقد ذكر القلقشندى فى صبح
 الاعشى «أن العرب كانت تشد ناقة الميت الى قبره ويقبلون رأسها الى ورائها
 ويغطون رأسها بولية وهى البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى
 ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه فى المعاد ليركبها». وقد قال أبو زيد
 فى تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رهوسها فى الولايا مانحات السموم حرّ الخدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة
 وقال الشهرستانى كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يبلى
 ظهرها أو مما يبلى كلكها أو بطنها ويأخذون وولية فيشدون وسطها ويقلدونها

البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .
ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعسي
يوصى ابنه بالبلية .

يا سعد أما اهلكن فاني أوصيك ان أخوا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يسعى خلفهم تعباً يخر على اليدين وينسكب (١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)
ولعل لي مما جمعت مطية في الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال عويمر النبهاني يوصى ابنه أيضا

أبني لا تنس البلية انها لا يبك يوم نشوره مركوب
وقال عمرو بن زيد المتمنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبني زودني اذا فارقتني في القبر راحلة رحل قار (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافقسه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عاثر
وقال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران (وقد كانوا في الجاهلية يكسعون
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وجدها قد بعثت له فيركبها
فليته لا يهض بثقله منكبها وهيئات بل حشروا عراة حفاة)
قولهم للميت لا تبعد — كان من عاداتهم الدعاء للميت بقولهم لا تبعد
وقد كثرت أشعارهم في هذا . قال أعشى بأهله من قصيدة في رثاء المنتشر بن
وهب الباهلي

(١) في رواية : لا أعرفن أباك بحشر خلفكم . وفي رواية الخطائي

لا تتركن أباك بحشر مرة عدوا يخر على اليدين وينسكب

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القار من الرحال أو

السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذي يقي الظهر ولا يعقره

(٤) رواية . للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فأذهب فلا يبعدنك الله منتشر أما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)
 وقالت أم عمرو ترثي ربيعة أخاها
 فأذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التي كل حى مثلها لاقى
 وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها
 اذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضيم وطلاب بأوتار
 وقال السموهلي

يا ليت شعري حين أندب هالكا ماذا يؤبذني به أنواحى
 أيقظن لا تبعد فرب كريمة فرجتها بيسارة وسماح
 وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعي بن مالك بن عمرو بن تميم
 كم شامت بي ان هلكت وقائل لا يبعدن مخارق بن شهاب
 المشتري حسن الثناء بماله والمالي الجففات للاصحاب
 وقد قصدوا بقاء الذكركما قصد الشنفرى في قوله وقد قطع يده من أسره
 لا تبعدى اما ذهبت شامه فرب واد نقرت حمامه
 ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادي في خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند
 قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
 الضبعي وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من
 قومه في يوم قلاب

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بعدا من باب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سینه
 مثلثة و(العداة) الاعداء جمع عادٍ و(الآفة) العلة و(الجزر) بضم فسكون
 جمع جزور والاصل بضمين كرسول ورسل فسكن الثاني تخفيفا والجزور هي
 الناقة التي تنحر فان كانت من الغنم فهي جزرة بفتحين - وصفتهم (أولا)
 بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و(ثانيا) بالكرم
 ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازليين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)
 وقال ابن السينا في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآ
 يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عاداتهم باستعمال
 هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به
 استعظام موت الرجل الجليل . وكانهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى
 زهير بن أبي سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى تقوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
 ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح
 يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف
 يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها
 وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث و(الغرض الثاني) انهم يريدون الدعاء
 له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته
 ألا ترى الى قول الشاعر

فائنوا علينا لا أبا لا بيكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى اليااليا
 وقد بين مالك بن الرب المزني ما في هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة
 يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأبن مكان البعد الا مكانيا
 هذا ومن لم يجد في هذا المعنى غناء الضرار السلمي فقال
 وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبتت تفضت بها يدي

(١) تعنى بقولها (النازليين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق
 المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها
 (والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاه في فروجهم لان العرب تكنى بالشيء
 عما يحويه أو يشتمل عليه و(المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع
 العقدة واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمي قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعني مقال نساءهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد (١)

ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدو من يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد

وقال فراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق اذا جاوب الهام المصيح هامتي (٢)

ودليت في زوراء يسنى ترابها على طويلا في ذراها اقامتي (٣)

وقالوا ألا لا يبعدن اختياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)

وما يبعد الا أن يكون مغيبا عن الناس مني نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عبدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام
وقربوا لها القرابين وندروا لها النذور زعماً منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا
مانعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حيث يقضى طرف الازار في لوك الازار أى طيه و (الازر) جمع
ازار وسكن تخفيفاً والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل

من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والمغرب لا تكاد تلبس الا
الازر . ولبس المراويل عندهم نادر . يروى ان اعرايباً مرّ بسراويل ملقاة

فظنها قميصاً فادخل يديه في ساقها وأدخل رأسه فلم يجد منقذا . فقال ما أظن
هذا الا من قص الشياطين (١) في رواية : وقتلت بين (٢) معنى البيت جاوب

صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاماً
(٣) أى أرسلت في حفرة معوجة يعنى اللحد و (يسنى ترابها)

أى يهالك ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و (القروم) الفحول ويريد
بتسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن و يروى مكانها بسالتي

أى نجدتي وشجاعتى

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم ايها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعميم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من جبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المنفي وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا تموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما ابصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الانبياء والرسل الكرام - قد آمن كل أهل دين سماوي بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أو أخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكروا عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدوننا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفييع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الأئمة والشريعة من الله اليها فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل)

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا اكثر
 عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخالق
 وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما اننا لمبعوثون
 أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من
 يحيي العظام وهي رميم - وقد استدلل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لاعترا فهم
 بها فقال (قل يحييها الذي انشاها اول مرة) وقال (أفعمينا بالخلق الاول بل هم
 في لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم
 حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأأم عمرو
 وقال شداد بن الاسود الليثي يرثي قتلى بدر من المشركين ويتهمكم بما أنزل
 على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عني بأني تارك شهر الصيام
 إذا ما الرأس زایل منكبيه فقد شبع الانيس من الطعام
 أبو عدنا ابن كبشة أن سنجيا وكيف حياة اصداء وهام (١)
 أتترك ان ترد الموت عني وتحييني اذا بليت عظامي
 ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية
 فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس في ذلك
 فما أيبلى على هيكل بناه وصلب فيه وصارا (٢)
 يروح من صلوات الملب لك طور اسجودا وطورا جوارا (٣)
 بأعظم منك تقى في الحساب اذا النسمة نفضن الغبارا (٤)
 وقال حاتم الطائي في البعث واستثثاره تعالى بعلم الغيب
 اما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم

(١) يريد ابن كبشة سيدنا محمد رسول الله (٢) الايبلى الراهب و(الهيكل)
 بيت النصرى فيه صورة مريم وديرهم و(صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار
 رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمة

لقد كنت أطوى البطن والزاوية
وقال حاتم أيضا

واني وان طال الثواء لميت
ووني لمجزي بما أنا كاسب
وقال قس بن ساعدة الايادي في البعث وكان ممن يعتقد التوحيد
يا باكي الموت والاموات في جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
كما ينبيه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم
خاق مضى ثم هذا بعده خلقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم
منها الجديد ومنها الازرق الخلق
وهو القائل في وصية له : كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولئن ذهب
ليعودن يوما . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية
وقال علان بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده
يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل
ظلوم حتف ألقه لم تصبه عقوبة فقيل له في ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء
هذه الدار دارا يجزي فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم
عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب القائل من وصية له : اني مارأيت شيئا
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان
يميت الناس الداء لحياتم الدواء . ثم قال اني أرى أمورا شتى وحتى قيل له
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حيا ويعود ما لبس بشي شيئا ولذلك خلقت
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين . فقال : ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال في هذه الدار وعرضها

(١) يعظمني من عظمه عظمة ضرب عظامه وفي رواية : يضظمني

يوم البعث . فهذا زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاه وقد أوزقت بعد ما يبست
 فيقول (لولا أن يسبني العرب لآمنت بان الذي أحيا الارض بعد يبسها
 سيحيي العظام وهي رميم) أى لا علنت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :
 فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
 يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
 ومعنى البيتين ان الله لا تخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقه الله
 فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينتقم من
 الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات
 من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يزل أهل الجاهلية يذكر
 القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيداً . وعن
 سعيد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريد أم
 رأى المعجم : فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو
 يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا
 ومن الايمان بالقدر قول ليبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته
 فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
 وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلاً من هواه شيئاً اذا هو لم يكتب

خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان
 الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله
 وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل
 السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الحشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال :
 شاعران من خول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب العدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذي ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول
 استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجلا
 والذي ذهب مذهب الجبرية لبيد بن ربيعة العامري حيث يقول
 ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)
 من هداه سبل الخير اهتدى ناعم الببال ومن شاء أضل
 وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان
 يعود في كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم
 وينادهم ويسمع من أساقفة نجران قو لهم فكل شيء في شعره من هذا
 فمنهم أخذه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح .
 وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تميز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن
 من نوع الجسد الذى فارقتة اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى
 غير نوعها . والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) النقل محركة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالثرث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان
 البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وبأذن الله ريثى والمجل .
 فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من
 أحد الا بأذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .
 وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبيد . وأما قوله من
 هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول
 عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار
 اللهم الا أن يكون مذهب لبيد فى الاجبار معروف بغير هذه الايات فلا
 تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه »
 زاد بعضهم بين بيتى لبيد قوله

أحمد الله فلاند له بيديه الخير ما شاء فعل

الى اجساد البهائم المستخرجة للاعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة في الاقدار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغير نوع الجسد الذي فارقته لان النوع الذي أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب في الجاهلية قال ابن أبي الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح في الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقدمنا آتفا عند قولهم للجنابة كنت في أهلك ما أنت مرتين عن ابن حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع الجسد الذي فارقته أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن نانوس تلميذه وأبو مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب وهو قول القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبي امنا لصرف الليالي جعلت اختنا سكينه فاره

فازجرى هذه السنانير عنها واتركيها وما تضم الغراره

المسح - تحويل الصورة الى صورة هي دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابي وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤولة فقلت مسحك الله بعيرا فقال ان الله لا يمسخ انسانا على صورة كريم بل لثيم . وينسكرك المسخ اكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرؤا به غير أنهم أجمعوا على أن الله جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لامكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

(١) قال الشهرستاني في الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذي هو وصول الروح عند مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهبوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر ذئبا وزعموا أن سهيلا كان عشارا وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهيد فسحنا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود قرائنهم واستحسانهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبجه أو بقية فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الخنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الأصنام والكواكب وغيرها . فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة إبراهيم أياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فمن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فالممات دونه والحل لاجل فأستبينه فكيف بالامر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلوم النبالى وهو القائل في تحريم الزنا والحمر .

سألت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقي في الامور وأعرف وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف وعففت عنه يا أميم تكرماً وكذلك يفعل ذو الحجج المتعفف ومنهم عنزة بنى عبس وهو القائل .

ماسمت أنى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاها
أغشى فتاة الحى عند حليلها واذا غزا فى الجيش لا أغشاهها
واغض طرفى ان بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها
وكانوا يرجون فى الزنا وبروى أبو هلال العسكري عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها فى سفر احمل لى هذا الكرز
 حمله فلما توسط الثانية وجد بلا على عنقه فقذف به فخرج منه رجل يسمى
 فاستفتى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبو حاتم وأظن
 ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندى ان أول من رجم فى الزنا
 فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن
 وحرّم كثير من أهل الرأى فيهم الحجر تكريماً لانفسهم وصيانة لها عن
 معرة السكر او اتقاء لضرر الحجر وذكر ان أول من حرّمها الوليد بن المغيرة
 وقيل قيس بن عاصم السعدي وفيها يقول

لعمرك ان الحجر مادمت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى
 وتاركتى من الضعاف قوائم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل
 وحرّمها صفوان بن أمية بن محرز الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم
 رأيت الحجر سالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريماً
 فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبداً سقيماً
 ولا أعطى بها ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبداً نديماً
 فان الحجر تفضح شاربها وتورثهم بها الامر العظيماً
 اذا دبت حمياها تلت طوالع تسفه الرجل الخليماً

ومنهم مقيس بن صباية السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط بيوله .
 ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق أخبر بذلك فحرّمها وقال

رأيت الحجر طيبة وفيها خصال كلها دنس ذميم
 ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنهم الاسلام اليبالى وعبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب
 وجده قصي بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الحجر فانها تصلح الابدان
 وتفسد الاذهان وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن
 الظرب العدوانى وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب
 تحريمه الحجر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضر به

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهب فقال له عبد الله
ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني
الشراب ما أبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال
الخمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معد يكرب
الكندي عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عفت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوقا رهينا
وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دفينا
وقال أيضا

فلا والله لا ألقي وشرباً أنازعهم شراباً ما حييت
أبي لي ذاك ابا كرام وأخوال بعزم ربيت
ومن حرمها في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في
الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل
حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما
وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل
له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئا فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل
رأسي شيئا يحول بيني وبين عقلي . وعثمان بن عفان وقيل له ما منعك من شرب
الخمر في الجاهلية فقال اني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا ذهب جملة
ويعود جملة . وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب
ما يشرب عقلي . وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومي
وأسمى سفاهم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحرمة

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتغسيل الموتى وتكفينهم مما تقدم ذكره
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سميد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاغتسال من
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها . ولقد حرموا السرقة وكانوا
يقطعون يد السارق اليمنى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في
ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يميناً أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات
أو جلاء وبرهاناً يجلي به الحق وتتضح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو تقار أو جلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى
الاشعري ما زاد على ما قال . وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البيعة على
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الايادي . وكانوا يقضون
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجسد في محلهم لم
يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلاً بالله ما قتلت وما علمت له قاتلاً
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار
وتنف الابط وحلق العانة والختان امثالاً لاسم ربه . فلما جاء الاسلام أقرها
سنة من سنن الدين ولنيسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو في العرب سنة للنساء وللرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم
اسماعيل وأول رجل أختن إبراهيم امتثالا لامر ربه . ولقد حافظت العرب
على سنة الختان حتى أن العربي ليخشى أن يوسم بأنه أغرل (١) وشاهده . احكاه
ابن هشام في غزوة حنين من انه لما استجر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل
منهم سبعة رجال منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له
أغرل فبينما رجل من الانصار يساب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده
أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفاغرل قال المغيرة بن
شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فذاك
أبي وامى انما هو غلام لنا نصراني . ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون
ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيعا أو صبيا ويتخذون لذلك ولية يسمونها
الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد معذورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان
(والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن إبراهيم وهاجر الى يومنا هذا
ثم لم يولد صبى مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبي وعيسى
ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية
الصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاه ابن القيم
الجوزية في كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى
في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه
حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس
يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كالاقلاف ذو الغرلة أو القلفة وهي الجلدة التي تقطع في الختان
(٢) معذورا أى مختونا يقال عذر الصبي واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أى
مقطوع السرة (٤) كانت العرب في الجاهلية تزعم أن الغلام الذي يولد في
القمراء يخنه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالمختون قال ابن أبي الحديد
« ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء
السكران وانتان اللحم وقد روى عن علي بن أبي طالب اذا رأيت الغلام طويل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره خليمة (ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه
يوم سابعه وصنع له مآدبة وسماه محمدا « قال أبو عمرو ابن عبد البر وفي هذا
الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل
قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند
ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفاً في انه ولد مختوناً
وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن العديم
ويبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن
نقل معين فيها

✽ الدين الفتيشي ✽

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحاً
تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبيد
غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه
بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجزورها
وقشورها والجلد والعظم والریش والناب والمخلب والحافر والسن والظفر
والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لا اعتبارهم
أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها الترابين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها
وتأخذوها تيممة تقيمهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل
الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيشي *fétichisme* وأصلها في اللغة

الغرلة فأقرب به من السؤ د واذا رأيت قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به
وأنت خبير انه يولد في القمرأ كثير ون ومتقاص الغرلة منهم أقل من القليل
وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمرأ كلهم أو
جلهم متقاص الغرلة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يعتقدون قال
امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلف حين دخل معه الحمام

اني حلفت يمينا غير كاذبة لانت أغلف الا ماجنى القمر

البرتغالية fetico بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين ولقد كان اكبار بعض الناس للحكاماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوصها بأنواع العبادة كما دعتهم أوهاهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعباد والشجمان والقواد والسمحاء الاجواد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنته على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبد في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موجود فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الثعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

* عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن *

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فمن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طيبي على رسول الله قال « خرج نفر من طيبي

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومهمهم زيد الخيل ووزر بن سروس
 النبهاني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمي وهو النصراني ومالك
 ابن عبد الله بن خبيري بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الظريفي رجل
 من جديلة ثم من بني بولان فمقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا جلسوا
 قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله
 عليه وسلم اليهم قال اني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود
 الذي تعبدونه من دون الله ومما حازت مناع (١) من كل ضار غير نفاع ،
 ونقل هذا الخبر الاصفهاني في الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب
 الموصوف بذي الكيود اى كثير الكيود فانه اغار على بني بكر فأصاب
 سقبا (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فنحره وأكله وفي ذلك
 يقول احمد البدوي الشنجيطي عند ذكر محارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيبيهم وذا الكيود آكل سقبا بكر المعبود

عبادة الانسان — كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العباداة . وليس
 أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم ائمتهم وآثارهم وقد حجت العرب
 عصابة الزبرقان بن بدر قال السهيلي وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمامم
 وثياب وينضح بالزعفران والظيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار
 الزبرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا ممراتهم من كل أرض هوينا ثم نسطنع (٣)
 فننحر الكوم عبطا في أرومتنا للنازليين اذا ما انزلوا شبعوا

قال البغدادي في خزانة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بني سعد
 ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزبرقان اذا استهلوا رجبا في الجاهلية اجلالا
 له واعظاما لقدرة وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان بقوله
 كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا على أنصابه رجبا

(١) قال أبو المنذر يعنى بمناع جبل طي (٢) السقبا ولد الناقة أو ساعة
 بولد أو خاص بالذكر (٣) وفي رواية من كل أرض هوانا ثم نبع

سب يزغفره سعد ويعبده في الجاهلية ينتابونه عسبا
والمصابة ما يعصب به الرأس « فأنت ترى الشاعر قد صرح بان هذا
التعظيم نوع من العبادة في قوله ويعبده في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن
بدر المخبل السعدي فقال

ألم تعلمي يا أم عمرة انني تخاطأني ريب الزمان لا كبيرا (١)
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزغفرا (٢)
والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لأن الزبرقان من أسماء
القمراء و لأنه كان يزبرق عمامته في الحرب أي يصفرها . وكان الزبرقان في وفد
تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة الى أبي بكر فأقره ثم الى عمر وذكر
الكوكبي انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل
فرس الى آباءه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غير التي حلف بها
على غيرها فقال عبد الملك : عجيبي من اختلاف ايمانه أشد من عجيبي بمعرفته
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدهما ما ذكره الشهرستاني في كتابه

(١) تخاطأني بمعنى تخاطبني وفاتني و (ريب الزمان) حوادثه و (كبرا) في
السن من باب فرح . يعني انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من
الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادي في خزانه
الادب . قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبيرا و (عوف)
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزول من حل
بالمكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصدون قال ابن دريد في الجرة الحج
القصيد وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهمله العمامة . وكانت
سادات العرب تصبغ العمائم بالزعفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصد
بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان
الزيارة لا تستعمل في هذا الا أن يدعى التهم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عبادة أمثالكم ، وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا . ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبهه وهم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكتسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايداء الانسان فكانوا يستعيذون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادي فأكل السبع ولده

قد استعدنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الاعادي

فلم يجرنا من هزبر عادي

ونسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم . وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبس الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون [عبادتهم للاشجار -] حكى عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام

على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه إلى حنين فكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتهم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهة كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

[لنا الميمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط *]

[هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يشق بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة »]

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فعن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعاً لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمر في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطا علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن
 بأثره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة
 مساجدنا صدورها فذهب اليك فان لم تؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة.
 ومنها قوله للحجر الأسود لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد
 أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

(* الوثنية في العرب *)

{ وأول من سجد للاصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون في مبدأ
 أمرهم للاجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفي ليلا وسائر الكواكب نهارة
 وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صورا عبدوها ولذلك كانت
 أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس
 ويونون والزهرة } ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظاماء مددا الهيأ به كانوا
 عظاماء في الحياة فمثلوا لهم صورا عبدوها واتخذوهم شفعا عند الله . وأول من
 فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه
 صنع لابيّه تمثالا سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ
 عبادة الملوك والامراء والشجعان

{ وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى
 مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة ياك وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا
 في الحرم وظلموا واستحلوا منه أمورا عظاما . فإرسل الله اليهم خزاعة حين
 أجلاهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشنى
 ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله
 قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمة من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن
 لحي فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة
 الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر في الموسم
 عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق
 فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه .

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل
 ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى
 ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم
 الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش
 وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظمن من مكة
 ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباية بمكة
 فحينما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحباً لها وهم
 بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارض أبيهم ابراهيم
 واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه
 واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما
 كانت عليه الامم من قبلهم وانتجثوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على
 ارض ما بقي فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل
 يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على
 عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس
 منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيب
 السائبة . ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي
 ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدي وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو
 الذي يبلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهما
 بيني اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة وتفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن
 المتخذين على القبور المساجد والسرر ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه
 ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال اشتد غضب
 الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوفاً بعد الخلوفاً
 وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما صنع ديننا فسداً للذرية نهي عن ذلك
 (٢) انتجثوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقيل له ان باللقاء من الشام حمة (١) ان
 أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال
 ما هذه فقالوا نستقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها
 ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت
 فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن
 لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ
 البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى
 الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم
 أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سبب السائبة ونصب
 النصب عمرو بن لحي رأيت يوذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سبحانه بن
 خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصابا
 وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
 لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفى دونكم للبيت حجابا
 ونظم ذلك أحمد البدوي الشنقيطي في كتابه عمود النسب فقال

قمة قبيل جسد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل لؤى
 أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصنم
 وأدخل اللذين أخرجهما إذ أحدثنا فسخا أهلها (٤)

(١) الحمة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع
 يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا
 وكان له رثى من الجن يكنى أبا تمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة
 بالسعد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . ائت ضف جدة تجرد فيها أصناما
 معدة . فأوردتها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جده
 فاستنارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها فأطبع
 (٣) القصب بالضم المعنى جمعه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفحة ١٣٣

وصلبا على الصفا ليعتظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسلم عن شكرها عيون عشرين حمل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل والتسيب وكالحماية وكل ريب
الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بملة الخليل يعملونا
وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في
أول ملك سابور ذي الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى
عمرو بن لحي الحرم حين نزوحه مع خزاعة وتغلبه على جرم عام سيل العرم .
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل
الاسلام باربعمائة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد
تهدم في أيام حسان بن تبان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النساخ بحبشان فيوافق ابن
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس

(١) في الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرقى في أخبار مكة أن عمرو
ابن لحي فقاً أعين عشرين بعيراً وكانوا يفتقون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا
فاذا بلغت الفين فقوا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيحات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله
يقول لاكنم بن الجون الخزاعي يا اكنم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف
يجر قصبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبهه برجل منك به ولا بك منه . فقال
أكنم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله . قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة
ووصل الوصيلة وحامى الحامى

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج وبيرين ووبار الى عمان وفي نمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حمورابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٢٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ ويزين الزونة

ولبيت الذي فيه أصنام وتصاوير البدن وكان للعرب أصنام عدة وبيوت
 للعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدنة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة
 ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها كما هم يعرفون فضل الكعبة عليها
 لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولتذكر ما عثرنا عليه
 من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتي بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابي
 المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبي السكبي وما لم يذكر منها فيه
 ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذه ونكتفي فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق
 في كتابه الساق على الساق فيما هو الفاريق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره
 ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج
 العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

[آزر - صنم عبدة العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)]

[اساف ونائلة - صنمان عبدة العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما .]

حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من
 جرم كان يتعشق نائلة بنت زيد من جرم (١) في أرض اليمن فأقبلا حاجين
 فدخلتا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت
 فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما ليتعظ
 الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما يبلصق
 الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان يبلصق الكعبة الى
 الآخر فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن
 العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا
 والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

(١) في سيرة ابن هشام اساف بن يعلى ونائلة بنت ديك . وفي الملل

للشهرستاني اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣٠ صفحة ١٠٥
 عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب
 وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويتقادم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن
 لحي أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن
 قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما
 ملصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدى
 للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينجر عندهما ويذبح ولم
 تكن تدنو منهما امرأة طمشت وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي
 أسد خزيمة

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه
 ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح
 مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم
 يشبه درجة سلم غير منتظم تطؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم
 (الاسحج - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

الاشهل - صنم وبه سمي عبس الاشهل أبو حن من العرب (عن
 تاج العروس)

الاقيصر - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجدام وعاملة
 وغطفان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده
 فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق - والقرّة
 القبضة - فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الابان فان أدركه أحدهم قبل أن يلقي
 القرّة مع الشعر قال : أعطنيه فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر
 بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي
 سلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقادير والقمل
 (أوال - صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر - بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للازد ومن جاورهم من
 طيء وقضاة

البجة - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)
 بس - بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)
 بعل - صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)
 البعيم - صنم (عن تاج العروس)
 بلج - صنم (عن تاج العروس)

بوانة - صنم عبده روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبج له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزطاً مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بي لمم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت أم أيمن فما ناد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته]
 تيم - صنم كانت تعبده بنو تميم فى الجاهلية قال أبو عبيدة تميم كلها كانت فى الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبهة - صنم كان يعبد فى الجاهلية (عن تاج العروس)
 جريش - كأمر صنم عبد فى الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد قيس (عن تاج العروس)

الجلسد - صنم عبد فى الجاهلية كما فى المخصص لابن سيده قال الشاعر
 فبات مجتباب شقارى كما يقرر من يمشى الى الجلسد (١)

(١) الشقارى شقائق النعمان ويقرر أسرع مطأطئاً رأسه

[جهار - صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)
 الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من العرب
 (عن تاج العروس)

دوار - قال البغدادي في خزائن الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون
 حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل (١)]
 يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بمضه ببعض ويدور كما تدور
 العذارى حول دوار وهو نسك كانوا في الجاهلية يدورون حوله . وقال
 العسكري في التصحيف وروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة
 وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم في الجاهلية يدار حوله « ويطلق الدوار
 على الطواف قال أبو المنذر « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون
 بها ويعترونها عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفي ذلك
 يقول عامر بن الطفيل وأنى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى
 في فتياتهم جمالا وهن يظفن به فقال :

• ألا ياليت اخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار
 وقال في ذلك المثقب العبدى لعمر بن هند

يطيف بنصبهم حجن صفار فقد كادت حواجبهم تشيب (٣)
 [ذو الخلصة - بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت خثعم
 كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت
 الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذى الخلصة صار
 مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

(١) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاة أو نساء أو قظا و (الملاء)
 يضم الميم جمع ملاءة وهي الملحفة و (المذيل) السابغ (٢) في القاموس
 الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله
 اسكان ثانيه أو ضممه أو ضمهما

كانت مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة وفيها يقول خداس بن زهير العامري لعثث (١) بن وحشى في عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بينى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لوتذكر

وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة النعمان حيث تنصرا

فاما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه جرير بن عبد الله مسالما فقال له يا جرير ألا تكفينى ذا الخالصه فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل في خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخالصه وأضرم فيه النار فاحترق وذو الخالصه اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخالصه يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ان المنتشر بن وهب الباهلى خرج يريد حج ذى الخالصه ومعه غلامه من قومه وكان بنو ثقيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخالصه اهدى له هديا يتحرم به ممن إقنيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو ثقيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زنباع فسأله ان يفدى نفسه فأبطلأ عليه فقطع أمله ثم أبطلأ فقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهى لا أومنه ثم قتل فرثاه أخوه لامة اعشى باهلة بقصيدته التى يقول فى مطلعها

(١) خزانه الادب للبغدادى لعقبه (٢) رواية خزانه الادب من هذه

انى أتتني لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)
الى أن قال

أصبت في حرم منا أخت ثقة هند بن أسماء لا يهني لك الظفر
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أخت ثقة في حرم وهو حرم ذى الخليفة
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت في الجاهلية يقال له ذو
الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم
ألا تريحنى من ذى الخليفة فنفرت في مائة وخمسين راكبا فكسره واستشكله
بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بان
الحديث في جامع البخارى بزيادة له كما في صحيح مسلم وليست له بزيادة
سهوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة
وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن ابي ربيعة
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت الفتاتان قوما

[ذو الشرى - صنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد]

[ذو الكعبات - بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما في تاج العروس
وكان بسنداد وفيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سندهاد
ذو الكفين - صنم كان لبني منهب بن دوس كفلما أساموا بعث النبي عليه
الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقى النار في وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار في فؤادك

> الربة - اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب (عن
تاج العروس)

(١) اللسان الرسالة و اراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضم تين أى اتانى
رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول
المستوفى بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة فتركها فقرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما
رئام - هو بيت كان بصنعاء لحمير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده
ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى
العراق قدم معه الخبران اللذان صحبا من المدينة فأمر بهدم رئام وقال
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا
يقرآنها وهدماه قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي
كانت تهراق عليه

السجة - صنم كما في القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبني مالك وملك ابن كنانة ومكانه
بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني
ملكاب بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربهما فتناول حجرا فرماه
به وقال لا بارك الله فيك لهما أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها
ثم انصرف وهو يقول

اتينسا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولني ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبده هذيل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني مجبل أحد كانت تحجر ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سعير - بصغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاص الكلبي على ناقته فر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

فقرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم (١)
 وجموع يذكر مهطعين جنابه ما ان يحير اليهم بتكلم
 سواع - قال ابو المنذر وكان اول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل
 وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
 هذيل بن مدركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للحارث
 ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم
 (١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير
 (٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا هي غير ما عبده
 قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله
 واما يعوث ويعوق ونسر . فقول انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا
 اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته
 ليدكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد
 كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروه
 هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله
 نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها
 التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى
 فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهم السلام
 فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم
 وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسب لهم
 عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن
 نقل الواحدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويعوث
 على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا
 يصحح ما ذكره أبو المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي
 الاصنام التي عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاطٍ من أرض يَذْبُعُ يعبده من يليه من مضر بن نزار وكانت سدنته
بني لحيان وكانوا يحجون إليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفي ذلك
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوا كما عكفت هذيل على سواع
تظل جنا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو
فلم انتهيت إليه وعند السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهدمه
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت وبحك وهل يسمع أو يبصر قال
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبده هذيل وبه سمى عبدالشارق (عن تاج العروس)

شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من
قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضيزن - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزان - صنم كانا للمنذر الأكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عأم - بالهمز صنم كان لازد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لا قيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سبأهم لا وعأم

عبدة مرحب - صنم كان بحضرموت

ععبب - بالعين المهملة ويقال بالهمزة صنم كانت قضاة تعبده (عن المخصص)

العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهي

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل

هذا البناء الا في أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم انا كالكالات والعزى ومناة

لاعتقادهم الخبيث في الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك اني سمعت العرب سمت بهما قبل العزى
 فوجدت تميم بن مر سمي ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبدمناة
 ابن اد وباسم اللات سمي ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة
 ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن اد بن طابخة وتيم
 اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
 فهي أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب
 وكان الذي اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال
 له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات
 عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت
 وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا
 يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادي
 حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابي جندب الهذلي
 في حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع التي أحمت فروع سقام
 وكان لها منحرج ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب (٢) وفيه يقول
 هميمة الفزاري لعاصم بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب
 وكانت قريش تخصصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن ثعلبة وكان
 قد تأله في الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام
 تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
 فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمي بني غنم أزور
 ولا هبلا أزور وكان ربا لنا في الدهر اذ حلمي صغير

(١) تنقل عن ابن العربي عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة
 العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغبغب هو المنحرج
 ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعائه (٣) رواية ولا ابتغيها

وكان سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بنى سليم وكان آخر
من سدنها منهم ديبية بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله
نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها وزل القرآن فيها فاشتد ذلك
على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب
يعوده فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بد منه
قال لا ولكني أخاف ألا تعبد العزى بعدى قال أبو لهب والله ما عبدت
حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت
ان لي خليفة . وأعجبه شدة نضبه في عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي
خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل ديبية
سادنها) وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر
فلما علم سادنها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي
هي فيه وهو يقول

اياز شدى شدة لانوى بها (١) على خالد القى القناع وشمرى
فانك الا تقتلى اليوم خالدا فبوءى بذل عاجلا وتنصرى
فلما انتهى اليها خالد هدمها وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى
وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك
ثم قتل ديبية السادن وقطع الشجرة وكان من سدنتها أفلح بن النضر السلمي
من بنى سليم حكى سعيد بن عمرو الهذلى ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة
دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين فقال ما لي أراك حزينا قال أخاف
ان تضيع العزى بعدى فقال له لا تحزن فاني أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب
يقول لسكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر
محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى . فانزل الله تعالى (تبت يدا ابي لهب)
وروى ابن العربي من حديث أبي الوليد ان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم خلفاء
(١) رواه خزانه الادب : عزاي شدى شدة لا تكذبى .

بني هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فاذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يجلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أظن لقربها منها وكانت ثقيف تخص اللات نخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الاخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الحجة الاصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا) كرايمهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غني وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربي بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رحع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأيقظنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبجها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فنظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لمسا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسره له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصاري الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لي أقول فاني لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابا يحيى ويحيى كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان
وان أخا الاحقاف اذ يعدلونه يجاهد في ذات الاله ويعدل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان
وان التي بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الحق معزل (١)
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى
عميانس (٢) — قال أبو المنذر وكان خولان صنم يقال له (عميانس)
بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحرورهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم
فما دخل في حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل في حق الصنم
من حق الله الذى سموه له تركوه . ووهم اليعمرى في عيون الاثر وابن هشام في
سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى في كتابا عمود
النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس
توسلوا اليه بالذبايح فامطروا وأعظم القبائح
ان جعلوا له والله نصيب من مالهم وان تغيب النصيب
أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبي عليه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم
من فتنته قالوا له يا رسول الله لقد رأينا وقد استنتنا حتى أكلنا الرمة وهلكت
ناغيئنا وراغيئنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قربانا يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا
فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب ذاهبنا فابتاع مائة نور ثم حشرها
علينا فنحرقها في غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من
السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتننة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث
يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسأنوه عليه السلام عما قسموا
(١) قال هشام الفل من الارض المجذبة التى لا خير فيها ولا تركة فشبهها بذلك
(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المثناة تحت بعدها الف ونون صنم خولان

له من ما لهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن
هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم .
عوض - ذكر ابن هشام ان ابن السكبي لم يذكره في كتاب الاصنام
وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير
فيهما العنزي

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

حلف بالانصاب التي حول السعير وبالدماء الجارية حولها وكانوا يذبحون

للانصاب (عن البغدادي في خزائن الادب)

العوف - صنم (عن القاموس)

غيبغ - انظر عيبب

غمدان - بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة

وخر به عمان ذو النورين (عن الممل والنحل للشهرستاني)

الفلس - قال أبو المنذر . وكان لطبي صنم يقال الفلاس وكان اتقا أحر في

وسط جبلهم الذي يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه

ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف الا أمن عنده ولا يطرد

أحد طريفة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته

بنو بولان وهو الذي بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له

صيفي فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كلب من بني عليم وكانت جارة لمالك

ابن كلثوم الشمجي وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلاس . وخرجت

جارة مالك فأخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عربياً وأخذ رحمه وخرج في

(١) الحوية كغنية استدارة كل شيء - والمعنى ان ماصار في حرمة يترك له

(٢) الخلية من معانيها الناقة التي تنتج وهي غزيرة فيجر ولدها من تحتها

فيجعل تحت أخرى وتخلي هي للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفيلس والناقة موقوفة عند الفيلس فقال له خل سبيل ناقة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أتخفر اهلك فبوا له الرمح (١) فخل عقاها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفيلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابكوم (٢)

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

يخرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونقر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شيء فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرد طريدة أخذت منه فلم يزل الفيلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبي طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبي طالب فهو سيفه الذي كان يتقلده

القليس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس - صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سمي امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في مملقته - عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلمه وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم حلفت بكثرى حلفة غير برة لتستلمن أثواب قيس بن عازب الكسعة - صنم عبده في الجاهلية (عن تاج العروس)

(١) بوا الرمحنحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهدده وغدره و(الناب)الناقة المسنة و(العليكوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين بناه بالوحي الالهي ابراهيم واسماعيل قال الشهرستاني وكذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقائه مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقائه لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستمدا الى الوحي على يدي أصحاب الوحي

كعبة نجران . كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الاصفهاني انها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى المباحلة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدى وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو مستتردد اعطى ما طلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى بخاطب ناقته

فكعبة نجران حتم علي ك حتى تنأخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح وقيساهمو خير أربابها

قال أبو المنذر « وكان لبني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهي التي ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكروهم وما أشبه ذلك عندي بان يكون كذلك لاني لا أسمع بني الحارث تسموا بها في شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة في الظهر وهي التي ذكرها الاسود بن يعفر (١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة انما كان منزلاً شريفاً فذكره »

كعيب وامراته - صنمان لم يذكرها ابن الكلبي كانا في كنيسة القليس وكان كعيب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

خشبة من الساج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية
 [اللات - صخرة بالطائف اتخذ العرب عليها بيتها قال أبو المنذر وهي أحدث
 من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق وكان سدنتها
 من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قریش
 وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت
 في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهي التي ذكرها الله في القرآن
 فقال (افرايتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجعدي

فاني وتركي وصل كأس لكالدي تبرأ من لات وكان يدينها

وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذي يلت السويق للحجيج
 على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذي يلت كان من ثقيف
 فلما مات قال لهم عمرو انه لم يموت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بعبادتها
 وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
 ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذنا يعبد »
 وحكى ابن العربي من حديث أبي الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا
 ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحجاج اذا مر يلت
 سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان
 ربكم اللات قد دخل في جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخيل
 وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو
 ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرتهامة فبنوا على صخرته
 بيتا يعبدونه أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى
 ويطوفون حوله ويسمونه الربة يضاؤون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر
 مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح
 لتيقنهم الاطاقة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشرفهم فيهم كنانة
 وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام

(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بني معتب

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نعترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام .
 قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رهوس أموالكم . قالوا فالخمر
 فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله
 قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمناها . قالوا هيهات لو تعلم
 الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبديالليل ما
 أحقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول
 أنت هدمها فلما نحن فلا نهدمها أبداً . فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجموا
 الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة
 ابن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها
 وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من
 الحجال وهم لا يرون انها تهم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة
 فأسأ كبيرة وقال لاصحابه لاضحككنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول
 ضربة ثم صاح وخر مغشيا على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان
 اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان
 استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجد على
 هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يا معشر
 ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكع حجارة ومدر ثم ضرب الباب
 فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل
 صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فايخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك
 المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها خفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقتها
 بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من
 يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام
 يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب . وخرج نساء
 ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسماها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

ونسى اللات والعزى وودا ونسبها القلائد والشنوفاء

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى تقيقا عن العود اليها

لاتنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس يفتصر

ان التي حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان بسامان (عن تاج العروس)

المدان - صنم وبه سعى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب - صنم كان بمضرموت اليمن وذو مرحب ربيعة بن معد يكره

كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

(مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة) قال أبو المنذر . ان العرب دانت للاصنام

واتخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المراضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد اعظاماً له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى اسمها اللثام (٢) فى رواية اذ كر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثلاثة اللات

والعزى واخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداً غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهداهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخزم ورسوب
فوهبهما لعل . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلج صنم لطبي حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم هدهما وكانت الاوس والخزرج يخصوصونها دون غيرها بالزيارة والهدية «

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين
(مناف - صنم به سمي عبد مناف) قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم (انظر أساف)

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبدته حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأشمار العرب وأظن ذلك كان لا انتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية «

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر

القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجاهلي فقال
 أما والدماء المائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عند ما
 نصّر - صنم (عن المخصص)

نهم - صنم عبده مزينة وبه سمت عبدتهم وكان سادته خزاعي بن عبد
 نهم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره للاسلام فكسر
 صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لا ذبيح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
 فقلت لنفسى حين راجعت عقلا أهذا إله أ بكم ليس يعقل
 أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل
 ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة

[هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عتيق أجمر على صورة
 الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فحملوا له يداً من ذهب وكان
 أول من نصبه خزيمه بن مدركة بن الياص بن مضر . وكان يقل له هبل خزيمه
 ذكر ذلك أبو المنذر وحكى ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من مأرب
 فنصبه في مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واختلف في موضعه فالشهرستاني
 ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر
 التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها
 ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدى الى الكعبة . وكانت
 تسمى الاخسف . وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا في
 أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً فما خرج عملوا به وانتهوا اليه]

[ود - صنم عبده كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أتى
 شط جده فاستثار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب
 الى عبادتها فأنابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن
 كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه
 ودا فجعله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبدود فهو أول]

من سمي به ثم سمت العرب به بعد وجعل عرف ابنه عامرا الذي يقال له عامر
الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدوننه حتى جاء الله بالاسلام . قال السكبي
حدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبي يبعثني بالبن اليه
فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذا وكان
رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه
بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال السكبي
فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل
كاعظم ما يكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزر بحلة ومرتب بأخرى
عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)
فيها نبل « وفي ود يقول الشاعر

حيالك ود فانا لا يحل لنا هـو النساء وان الدين قد عرما

ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)

اليعبوب - كان لجديلة طيبي صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده

اليعبوب صنما عبوده فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعبوب بعد الههم صنما فقروا يا جديل وأعدبوا

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك

ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق

فاتخذته خيوان فكان بقريه يقال لها خيوان (٣) من صنعا على ليلتين مما يلي مكة

تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها

من العرب ولم أسمع لها أو لغيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنعا

واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان

كافي ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالك بن نمط الهمداني في قوله :

يريش الله في الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش (١)
 يغوث - صنم - قال أبو المنذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر
 وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح
 ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فسكان بأكمة باليمن يقال لها
 مذحج تبعده مذحج ومن والاها

* كثرة الاصنام *

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العدد .
 وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الزمخشري
 انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل
 رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل
 يطعن بسية قوسه (٢) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
 ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتنى على بن أبي
 طالب على منكبه الشريف حتى صعده الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم
 الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق
 الا صنم خزاعة موندا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تمكن منه فقذفه
 فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عمير
 ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ياأبي عليك الله والاسلام

() يريش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير في النفع والضرر

قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش ولا يبرى

(٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبي في كتاب

الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا (٢) والشرك يفشى وجهه الاظلام
وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا
وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحضرة أما في الحضرة فذكر ابن اسحاق
ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع
اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله
وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب . وأما في السفر
فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها
فأخذها رباً وجعل الثلاثة اثنافى لقدرة واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر
فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهترت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً
ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً أما
من الحرم وأما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها
الانصاب وسموا طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما
يسميه بأسم الصنم الذي تعبد به القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته
وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بني
سلمة وأشرفهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت
الاشراف يصنعون تتخذها لها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بني سلمة كانوا
يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة
وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)
على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجدته غسله وطهره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول
الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى
غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لآخزيتنه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث القوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه فى بئر من آبار بنى سامة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجوح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكساً مقرونا بكاب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكاب وسط بئر فى قرن (١)

أف للمقاك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن (٢)

الحمد لله العلى ذى المنين الواهب الرزاق ديان الدين (٣)

هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر صرتهن

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزا عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطمع وقيل انه كان سادنا له بخاء ثعلبان (وهو ذكر الثمالب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فزال لقد خاب قوم أمولك لشدة أرادوا نزالا ان تكون تحارب فلا أنت تغنى عن أمور توارت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبل (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بآلت عليه الثعالب
 ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فأمن وسأله عليه الصلاة والسلام
 عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه
 (وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نميد
 الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجرا أحسن منه نقلق ذلك ونأخذه فإذا لم
 نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغم خابناها عليه ثم طفنا به . وقال
 أيضا كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد إلى الحجر
 الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرآ طويلا ثم أدركتهم
 مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربهما زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهما سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بني تميم

أكلت ربهما حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم
 عنده روى أنهم كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة
 الثالثة الأخرى فأنهن الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترجيى فجعلوا عبادتها
 وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك أنكره الله تعالى عليهم في غير ما آية من
 كتابه كما أنكر عليهم اعتقادهم أنها بنات الله في قوله (أفرايتم اللات والعزى
 ومناة الثالثة الأخرى الحكم الذكر وله الأنثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هي الا
 أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان) وما أسرع تزلزل هذه
 العقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قبيصوا لابي بكر رجلا
 يأخذه فقيصوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم إلى
 فقال الام تدعوني قال أدعوك إلى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فمن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم فسكنوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وحلف الشنفرى بتياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهطه على وأنواب الاقيصر يعنف
(وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحلوا لها وحرموا وسيبوا لها السوائب والبجائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول امرى القيس يشبهه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل
(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الفزارى
واننى والذى نعم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل
(وكانوا) يستقسمون عندها بالازلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من انعامهم وحرشهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات (وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد اللات وعبد العزى وامرى القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و(كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا باسمائها فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك (وكانوا) يندرون لها الندور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر الالهة

فلا يمنع من ماء ولا كلاء وان كان رقيقا وأعتقه مالكة سائبة فلا يعقل عنه
ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبي حذيفة
اعتقته فتبية بنت يعار وقيل اسمها ثبيثة بنت يعار فانقطع سالم الى أبي حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة فثبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة

و (كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقرب من يمشى الى الجلسد (١)

و (كانوا) يستعينون بها في حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير
وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد و اياك نستعين)
وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و (كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء
من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن
قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ اللبثي

وقرن قد تركت الطير منه كعتز العوارك من مناف (٢)

و (كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن في ذلك
عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين
فمنها (الفرع) وفسره الشافعي بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يمكنونه
لاحد رجاء البركة في الام وكثرة نسلها وفسره أبو علي القالى بأنه ذبح كان
أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقبا آخر وفي المحكم
الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه
ويلقى جلده على الشجر وعن أبي مالك انه البكر ينحره الرجل للصنم اذا بلغت
ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا
بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق
الفرع أيضا على الطعام الذي يصنع لنتاج الابل كخنزير لولادة وقل الميداني
في مجمع الامثال عند قولهم في المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

(١) الببقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتز

المتنحى في ناحية - و (مناف) صنم

ولد نذجه الناقة كانوا يذبحونه لأهلهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول
إذا تمت ابلى كذا نحررت أول نذيج منها و(كاوا) إذا أرادوا نحره زينوه
والبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العمام من الاقوام سقياً مجللاً فرعاً (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع
ومنه قولهم للضبع اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قرارى كأنما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد. ذبيحة كانوا يذبحونها
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية. ولغيره أنهم كانوا
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة. وفي
الصحاح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترت
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعاشر الاول من رجب. وروى
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو
العتير. وفسرها النووى بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب
ويسمونها الرجبية وفيها يقول النابغة الجعدي وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتير على الاوثان

وقد أطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهي محمول على ما اذا كان
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده
عن الحارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة
فقال من شاء عترو ومن شاء لم يعترو ومن شاء فرعو ومن شاء لم يفرعو ولكنهم
نہوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلاً نادى رسول الله

(١) الهيدب الغبي الثقيل و(العمام) العبي الثقيل و(السقب) المذكور

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و(جمار) كقطع الضبع

انا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما
 في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتميزها بالعبادة من غير
 نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول ما يولد لان رسول الله لما
 سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض
 أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه
 فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفي اناءك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان
 الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك
 الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي علي القالى في أماليه (الحلان والحلام
 فويق الجدى وأشد لابن احر

تهدى اليه ذراع الجدى تكرمه اما ذبيحا واما كان حلالا
 فالذبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال
 وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل فى كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء
 يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به «

و (كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ
 يلعظونها بدمائها يتمسون بذلك الزيادة فى أموالهم ودفن المكروه عنهم
 وشاهده قول زهير بن أبى سلمى

فزله عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتردى رأسه النسك (٥)

(١) البكر القتى من الابل والائى بكرة و (ابن المخاض) الفصيل اذا
 لقحت أمه وقيل ما دخل فى السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل
 وان لم تكن حاملوا (ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكملته
 وقيل اذا دخل فى الثالث والائى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد
 انه لا شبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنها
 فكانه اذا فعل ذلك كفى اناءه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيت

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبّه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها
فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بني غنم
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع في القسم (١)
وكذلك كانوا يصنعون اذا نحرروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا)
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك
حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه
فحرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (٢)) وتبعته نصارى العرب كفار قريش في
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا
من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرّم أكل
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك (بامعشر قريش أرسل الله قطر السماء وينبت
بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبحونها لغير الله)

ومن أنواع قرابينهم في الجاهلية البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطة وأشرف على رأس (مراقبة) وهي المكان المرتفع حيث
يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر
الذى يعتر عليه وهو نصب و(العتر) ذبح كان يذبح في رجب (١) القدح
ضعف البصر من ادمان النظر و(الغبغب) المنجر مهراق الدماء (٢) فسر الفسق
بمتروك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل
ويقال في جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لا تحمل و(الشريف) اسم موضع
واذا طعنت الابل في الرابعة فهي حق وحقة و(وصائل) ووصل جمع وصيلة
و(سيب) وسوائب جمع سائبة - وفي نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب
البحيرة بغير علم السائبة لتتميز عنها واعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك
الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة »
ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر
وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت
الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بجرها وأذنبا وحرموا نحرها وركوبها ولا تطرد
من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعبي لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بأنها
بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة
عندهم الناقة تشق أذنبا فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف
ولا يتصدق به وتهمل لآلهتهم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله
الرجال دون النساء وان كان أنثى بجرها وأذنبا وشقوها وتركها لا يشرب لها لبن
ولا تركب قيل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها
ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت سبعة اشترك فيها
الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة
أبطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة
اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت
فلا تحلب . وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا أذنبا وقالوا اللهم ان عاش ففتى
وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التي تترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سيبته أى تركته وأعملته فهو سائب وهي سائبة
قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عشر أنثى ليس بينهما ذكر سيبت
فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك
من أنثى شقت أذنبا ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها
ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وتعقبه

(١) من معانيها في القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسبها ان بري من مرضه أو ان أصاب امرا يطالبه فاذا كان ذلك اسباب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لا تمنع من ماء ولا كلاء ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحجج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التي تسبب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بأنها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم واناتهم . وتعقبه ابن هشام بان الوصيلة عند العرب هي التي تلدانها اثنتين في كل بطن فيجعل صاحبهما لآهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسبب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل القلقشندي في صبح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قال كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمد الى البعير الذي كملت به المائة فاغلاق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنمه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد اتمت (٢) بروي فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنهم دون اناتهم (٣) أي الانثى (٤) العناق كسحاب الانثى من اولاد المعز جمع أعنق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشئ الا أن تموت فيأكلها الرجال
والنساء وكذلك ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فتترك معه وينتفع بها الرجال
دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها . قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح
وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان
كان انثى تركت في الغنم وان ذكرا وانثى فيكقول ابن عباس

وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآهتهم واذا ولدت انثى
كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح
فلم يذبحوا الذكر لآهتهم . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان
جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها . وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها
 . وقيل الوصيلة من الابل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها
 . وقيل أنها الناقة التي تبكر فتلد أنثى ثم تثني بولادة أنثى أخرى ليس بينهما
 ذكر فيتركونها لآهتهم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق
انه الفحل اذا نتج له عشر أنثى متتابعات ليس بينهما ذكر حمى ظهره . فلم
يركب ظهره ولم يحز وبره وخلى في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك
وقيل هو الفحل ينتج له سبع أنثى متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى
انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقال الفراء هو الفحل اذا لقح
ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال
أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره
فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس
وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل
الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بني قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن
أوس بن عامر يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية
ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى ابله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للسلام رد على تلك الناقة لاركبها
في أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحلال له»
فجرت مثلاً لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك
فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن
لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه أبو هريرة
ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أول من غير دين
اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبة وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن
رسول الله: قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدليج كانت له نافتان
فجدع آذانهما وحرّم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما
فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيت في النار يؤذى أهل النار ربيع
قصبه فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من
بحر البحيرة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر في حديث
زيد بن أسلم أن أول من بحرهما رجل من مدليج وهم بطن من كنانة بن
خزيمة بن مدركة من العدنانية وأوليتهما انما هى بالنسبة لمن اتبعهما
فما ابتدعا فلا ينافى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد
أبطل الشارع ذلك وحرّمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا
من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها
افتراء عليه سيجزئهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيجزئهم

(١) قال القاضى عياض الماروف فى نسب خزاعة انه عمرو بن لحي
ابن قعدة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدليج
(٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرّموا من الحرث والانعام الا من

وصفهم (١) انه حكيم عليم

الاستقسام بالازلام

من عادتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فاذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهى ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهانى ربي وعلى بعضها أمرنى ربي وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الآمر مضى لطيبته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل . فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرجو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيدأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فما خرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شاهوا من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يحرمون ظهور السوائب والبحائر والحوامى وكانوا يحرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للانعام وجعلوا ما فى بطونها لذكور دون الاناث . وفى الآية من الناقة الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعتمد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة للذكورنا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحريم

فكانوا يذهبون اليه اذا ارادوا امرانما يستشار فيه ويعطون الذي يضرب بالقداح
 مائة درهم وجزور فان شكوا في نسب أحد قربوا من يشكون في نسبه ثم قالوا
 يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون
 صاحب القداح أن يضرب بالقداح الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان
 خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج
 عليه ملصق كان على منزلته فيهم لان نسب له ولا حلف واذا تنازعوا في العقل وهي
 دية المقتول أحضروا المتهم بالقتل واستقسم لهم الامين بقدحين أحدهما موسوم
 بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل
 لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدحين أيضا فان خرج
 على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شيء فان اختلفوا فيه
 ضرب بالقدح الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداه واذا ارادوا معرفة
 ما في فعل أسر من خير أو شر أجال لهم أمين القداح قدحى أمرني ربي
 ونهاني ربي (١) فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا المسئول عنه من حرب
 أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك وان خرج قدح النهي أخروا
 ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ما ذكره النقات ويتاخص من كلامهم ان الاستقسام عام وخاص
 فالعام ما يزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على احدها
 امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فيضعها في خريطة ويحيلها ثم
 يخرج منها واحدا فان خرج الأمر فعل وان خرج الداهي ترك وان خرج
 الغفل أعاد . والخاص وهو ما يراد منه الحكم لا مجرد الاستشارة ويكون لدى
 سادن الصنم كما اذا ارادوا معرفة من عليه العقل أو غير ذلك . وقال ابن اسحاق
 كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعدرة والنكاح وكان قربانه
 مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا

(١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدحين كتب على احدهما نعم وعلى

الآخر لا

انا اختلفنا فهب السراحا ثلاثة ياهبسل فصاحا

الميت والعدرة والنكاحا والمبرىء المريض والصحاحا

أنلم تقله فر القداحا

ولم يقصرها الفلقشندي في صبح الاعشى على سبعة لفته « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداحا مكتوبا على بعضها افعل. وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها انعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذ وعلى بعضها مرو وعلى بعضها سريع فاذا اراد احدهم سفرا مثلاً أتى سادن الارثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كاذب خيرا له فاخرجه فما خرج له عمل به واذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح وفي بعضها مكتوب صريح وفي بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح اثبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح فمن خرج سهمه فالحنى له « ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

أخذ الازلام مقسما فأتى اغواهما زلمه (١)

عند انصاب لها زفر في صعيد حمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فمنها ما حكاها الاصبهاني وغيره أنهم كانوا يستقسمون عند ذى الخلاصة وان امرأ القيس لما قتل بنو أسد اباه حجراً أخذ الازلامه وأتى الصنم ذا الخلاصة فاستقسم فخرج له القدح الذي يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتنى ثم انشد لو كنت يا ذا الخلاصة الموتورا مثلى وكان شيخك المقبوراً

(١) يروى : فافاض القدح مقسما و (اغواهما) من الغواية وثنى الضمير

في اغواهما وهو للالزام لان الشعر لحكم قافيته يحتمل ما لا يحتمله النثر و (الزم) واحد الالزام

(٢) الانصاب الحجارة التي كانوا يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و

(حمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعنى جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببني أسد . قال ابو المنذر فلم يستقسم أحد عند ذي الخلصة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أخفراه

ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق « أن عبد المطلب بن هاشم شرع في حفر بئر زمزم فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرمهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قلمية (١) وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الي أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فن خرج له قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب القداح بها عند هبل أعظم أصنامهم وهو الذي عناه أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال اعل هبل أي أظهر دينك فخرج الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلته الكعبة فيما يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت في غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج لحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة فخرج القدح الناهي فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الاسود حتى اذا كان بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها فخرج الناهي عن الخروج فلقى غيظا ثم أعادها الثانية فلقى مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا كاذب ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعلة بن أخضر الضبي جلينا الخيل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم

بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبسكل طرف يزبن سواد مقلته العذارا (١)
حوالى عاصب بالرأس منا جبين أغر يستلب الدرارا (٢)
رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح اذا استشارا
على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه
كجذع بن سنان حيث يقول

أتانى قاتر وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
وحذرتى أمورا سوف تاتى أهز لها الصوارم والرماحا
سامضى للذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلك قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون فى المعرفة
على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفى
أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهما لم يستقما قط وقد حرمة الله تعالى
وجعله رجسا أى مائما وفسقا فى قوله (انما الحجر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق)
وانما حرمة لانه تهجم على علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقال (لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة
من الصناعات وافتراء على الله فى قوله أمرنى ربي ونهانى ربي وما يدريه أنه
أمره ونهاه . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته
كهده المفسدة

* الاقسام *

اذا أراد أحدكم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهن عزيمته قواها بالحلف
لان الحنث يوجب المؤاخذة . فكانوا يحلفون بمعبوداتهم وبشعائر دينهم

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من
الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرار يعنى أنه شجاع ينتهب
النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في
 اليمين وهذا نوع من أنواع العبادة وهي لاتليق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة
 والسلام من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت فحرم الحلف بالنبي وبأحد من
 ذريته وبالكمة والصالحين والكن المسامين خصوصا في هذه الايام لبسوا
 الدين مقلوبا وفعلوا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم
 يخلفون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الاصنام الا لتقربهم اليه بل كان
 الحلف به أعظم ايمانهم قال النابغة الذبياني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
 وقال أوس بن حجر

وباللوات والعزى ومن داند دينها وبالله ان الله منهن أكبر
 ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنتره العبسي

قسما بالذي أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما

وقول مهلهل التغلبي

قتلوا كليبيا ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لاوقائت (٢) تقسى القصير . وقولهم
 لا والذي لا أتقيه الا بمقتله (٣) لاوالذى أخرج العذق (٤) من الجريمة (٥)
 والنار من الوثيمة (٦) لاومقطع القطر . لاوقائق الاصباح . لاومهب الرياح .
 لا ومنشر الارواح . لا والذي مسحت أيمن كعبته . لا والذي جلد الابل
 جلودها . لا والذي شق الجبال لسيل والرجال لاخيل . لا وبارئ الخلق .
 لا والذي يرانى من حيث ما نظر . لا والذي نادى الحجيج له لا والذي رقصن
 ببطحائه . لا والذي أمد اليه بيد قصيرة . لا والذي كل الشعوب تدينه .

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا
 (٣) أى كل شيء منى مقتل من حيث شاء فتانى (٤) النخلة (٥) النواه
 (٦) هى الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من

الحجارة

لا والذي وجهي زمام بيته (١) لا والذي شقتهن (٢) خمساً من واحدة لا والذي
أخرج قائبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشعائر الحج ومشاهده لأنهم
كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين إبراهيم وإسماعيل وحلف زهير
ابن أبي سلمى بالكعبة فقال

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحم
وحلفوا بزمام والحطيم قال ابن دريد وسمى بالحطيم لأن أهل الجاهلية
كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبي سلمى بالمنازل من منى فقال
فاقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل
حتى حلفوا بالابل التي تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات ببطن جمع
وبالتي تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات إلى منى إذا محرم خلقته بعد محرم
وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لأنه الشهر الذي كانوا يعتمرون فيه ويذبحون
فيه العتيرة وهي الرجبية وحلف الوثنيون بالاصنام وبما ألبسته من الثياب
وبالانصاب وهي حجارة كانت في الجاهلية يهل عليها ويذبح وبما هربق لها
أو عاينها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجيادرتوعاً
كلاً وانصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيعاً

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند

أني وجدك ما هجوتك والـ أنصاب يسفح بينهن دم

وقال النابغة الذبياني

فلا لعمرو الذي مسحت كعبته وما هربق على الانصاب من جسد (٤)
ما قلت من سيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

(١) أي تجاهه وحذاءه - (٢) يعنون الاصابع (٣) يعنون فرخاً من بيضة

(٤) رواية فلا ورب الذي قد ذرته حججاً و (الجسد) والجساد الزعفران

والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميض العنزي
 حلفت بمائزات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
 وقال المتلمس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالمحرق
 أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (١)
 وحلف مهلهل بن ربيعة بالحرام والحل فقال
 كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا (٢)
 وحلف عدي بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان
 لما حبسه

سعى الاعداء لا يألوف شرا عليك ورب مكة والصليب
 ارادوا كي تمهل عن عدي ليسجن او يدهده في القليب
 وحلفت النصراني بالابيل وهو الناسك والراهب قال في لسان العرب (وكانوا
 يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بـعـوح
 الرهبان فقال :

حلفت بثوبى راهب الدير والى بناها قصى والمضاض بن جرهم
 وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمري اى وبقائى ولعمرك قال طرفه بن العبد
 لعمرك ما امرى على بغمه نهارى ولا ليلى على بسرمد (٣)
 وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد
 فلا وايبك لو كاليوم امرى ومن لك بالتسدير فى الامور
 وكانت قريش تحلف بآبائها فنهاهم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا
 بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى فى حرب ذى قار فيما
 رواه الاصمغاني فى الاغانى

حلفت بالملح والرماد وبالعنزي وباللات تسلم الحلقة

(١) أطردتني اى صيرتني طريدا ، وىروى والله والانصاب . (و لا تثل)
 لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب (و السرمد)
 الدائم اى اذا هممت بأمر أمضيته وأمضى همى بالليل ولا ابالى طولته

حتى يظل الهمام منجدلا ويقرغ النبل طرة الدرقة
وقد اختلفوا في المراد باسحهم المقسم به من قول أعشى قيس
رضيعي لبان ثدى ام تحالفا باسحهم داج عوض لا تتفرق
على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الافتضاب أولها هو
الرماد وكانوا يخلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالنـسار وبالله تسلم الحلقة
حتى يظل الجواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرقة

(ثانيتها) هو الليل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا
يغمسون ايديهم فيه اذا تحالفوا حكى هذه الاقوال الاربعة يعقوب وحكى
غيره وهو (الخامس) انه حلة الثدى وقيل وهو (السادس) زق الحجر وقيل
وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسحهم لان الدم
اذا ببس اسود قال ابن السيد وابعده هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد
لا يوصف بانه اسحهم ولا داج وانما يوصف بأنه أورق وممن ذكر حلقهم بالنار
ابن قتيبة فى ابيات المعانى عند الكلام على نار التحالف حيث قال كانوا يخلفون
بالنار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدنة فاذا تقام الامر
بين القوم خلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادتها
اذا أتى برجل هيبه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا
وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نكل
وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)
وقال السكيت

هم خوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الخالفين المهول
وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لكل قوم نار وعابها سدنة وكان اذا
وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيحلف عندها

(١) كمحدث المحلف

وكان السدنة يطرحون بها ملحاً من حيث لا يشعر يهولون بها عليه قال الكميث
وذكر امرأة

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالا لديها هو الازول

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وما هولوا (١)

وفي القاموس « التهويل شيء كان يفعل في الجاهلية إذا أرادوا أن
يستحلفوا انساناً أوقدوا ناراً ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً
من حيث لا يشعر يهولون بها عليه والجمع التهويل ». والتحليف عند النار
أو بها أثر من آثار المجوسية سرى لهم من مجاورتهم لفارس

وحلفت الكهان بما جل قدره وعظم خطره كالسما والارض والليل
والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان في صدر كلامهم
وأخبارهم بالمفبيات كقول سلمى الهمدانية الحميرية

والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقله والحضيض ان
خزبما لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمية خويلة والليل الغاسق واللوح (٥)
الخافق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادي ليأدوا (٦) ختلا
وقول السكاهن الخزاعي لما تنافر اليه أمية بن عبدشمس وهاشم بن عبد مناف
والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجومن طائر وما اهتدى
بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاجر ولامية أو اخر .
ولقد اقسم الله في القرآن بكثير من الازمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان
يحتاج في تأكيد اخباره الى القسم بشيء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض
منها تقرير وجود المقسم به في عقل من انكره وتعظيم شأنه عند من احتقره
أولئنه الغافل الي موضع العبرة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة

(١) هاله هو لا افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللمعان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض
حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهواء بين السماء
والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولأنستحلف به وفي محاضرات
الادباء ١ واول من استحلف به ابن مسleme وكان واليا على كرمان استحلف
جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيانا احدثت في طلاقها طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا

وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف
الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله « ويبعد صدور ذلك عن
العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الا عند ارادة
حل عقدة الزواج وانى لم اعثر على ذكر ذلك في سيرة من السير ولو صح لنقل
واستفاض . وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايعك على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فاحدث الحجاج كما قال
ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعناق
وصدقة المال والحج و(كانوا) يغفلون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة
كالانصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب انى هالك بمتلفة ليست بغبط ولا خفض (١)

او مكة كقول زهير بن ابي سلمى

فتجمع أيمن منا ومنكم بمقسمة تمر بها الدماء (٢)

او الحطيم وفي القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن
وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن
الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية
تتحالف هناك »

وكانوا يحرصون على البر في اليمين وعدم الخنث فيها حتى لقد زعم علماء
كندة كما حكاه الاصبهاني في الاغانى ان جد امرئ القيس وهو الحارث بن
عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغبط) أى تغتبط (٢) المقسمة موضع القسم

وأراد بها مكة حيث تنحر البدن فتسيل دماؤها

فألظبتيس (١) من الظباء فأعجزه فألى الية ألياً كل اولا الا من كبده فطلبته الخليل ثلاثاً فأتى بعد ثلثه وقد هلك جوعاً فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفي ذلك يقول الوليد بن عدى الكندى فى بنى بجيلة فشوا فكان شوا هم خبطاله ان المنية لا تجل جايلا
 و(كانوا) لا يتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجاً من اليمين. وشاهده ما ذكره ابن رشيح فى العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف فى يوم اواراة الاول ليقتلن بكر ا على راس اواراة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا اخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر يمين المنذر فكف عن القتل وماروى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائمه فى تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سرباً تحت الارض وادخلوا فيه رجلاً وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
 فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غنى بذلك البيت فقيل له اارث بر قسمك فأبقى بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله فى الحنث ولا تعلم من تجراً على الله بالحلف حانثاً قبل امرى القيس فى قوله
 فقلت يمين الله أرح قاعدا وان قطعوا رأسى لديك وأوصالى (٢)
 حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث. ولا صالى
 ولقد نحا نحوه الشماخ بن ضرار الغطفانى فى الاسلام فقال

وجاءت سليم قضاها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها (٣)

يقولونلى يا احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أنها (٤)

(١) الظ به لازم ولم يفارقه (٢) تعارفوا يمين الله حلفاً به تعالى (٣) قضاها بقضيضها بالنصب اى منقضاً آخرهم على اولهم و (البقيع) موضع بالمدينة و (السبال) جمع سبلة وهى مقدم اللحية
 (٤) عنها أى عن الحلقة المفهومة من احلف اى يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بخلفة كما قعدت الشقراء عنها جلالها (١)
يقول كسفت هم النفس عنى باليمين الكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفرس
الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم
سألوني اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الانخداع
ثم ارسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع
ومثله قول ابن الرومي
واني لذو حاف كاذب اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق
وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

﴿ التحالف ﴾

التحالف التعاقد . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو
محترم ديناً فقد كانت قبائلهم لكثرة شهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع
العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيانها ان تتحالف
مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها في الانتصار
على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد النضال .
وكانوا يغمسون ايديهم في دم أو خلوق أو رب او غير ذلك عند الحلف كناية
عن صبغتهم بصبغة واحدة فمن التحالف بغمس اليد في الدم ما كان من تحالف
قبائل عبد الدار ومخزوم وعدى وسهم وجمح فانهم عند ما تحالفوا على الا
يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا
من ادخل يده في دمها فلعق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .
ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذي قربوه عندما ارادوا الحلف مع
الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهاني في الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها منى فاحلف فتنقطع الخصومة (١) قعدت شقت والجل
بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى المواقعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس ربا جساس فكان لا يعرف ابا غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال البكرى ما انت بمنته حتى نلحقتك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبا فسأته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع انفه بين ثدييها فتنفس تنفسا تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فرعة قد املتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس نائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأناه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطاحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك . ثلما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بالبلاء وفرسه خمهله جساس على فرس واعطاه لأمة ودرعا . فخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه . وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن مرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى امره . فقال سعد بن مالك بن ضبيعة البكرى لا والله ما نعطي تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى نفنى جميعا فدعا بحزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ما قيل ان خثعم وهم بطن من امار سموا بذلك من التختعم وهو التاطلخ بالدم وذلك انهم نحروا بعيرا

وغمسوا ايديهم في دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد في الخلق ما كان من امر بني عبد مناف وبنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصره وغمسوا ايديهم في جفنة مملوءة طيبا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا بالمطيبين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم التي ضرب المثل بعطرها فقيل اشأم من عطر منشم ودقوا بيدهم عطر منشم كانت امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد في الرب ما كان من أمر بني عبد مناة بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكل ونور فانهم غمسوا ايديهم في الرب في حلف على بنى ضبة فلقبوا بالرباب كذا في العقد الفريد وفي القاموس والرباب احياء ضبة لانهم ادخلوا ايديهم في رب وتعاقدوا - والرب بالضم سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها ونقل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتعاقدون ويأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قوهم ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حازة اليشكري .

واذكروا حلف ذى المجاز وما دم فيه اليهود والكفلاء

حذر الخون والتعمدى وهل تنقض ما في المهارق الا هواء (١)

وقال في كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذي ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة ويروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مهارق

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدمي هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضا بل الدم الدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحتمى بهدمى ولدمى) فالدم

(بحر كون الدال في هذا الموضع) (١) لا يزيد طول الشمس الا شدا وطول الليالي
الا مدا ما بل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جبلهم رضوى
وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ويهولون على من
تحاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها والتخويف من حرمان منفعتها . ولقد
يحالفت قبائل من مرة بن عوف عند نار فدنوا منها حتى محشتمهم فسموا الحاش
وربما تحالفوا وتعاقدوا على الملح قال الشاعر

حلفت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التي هي أعظم
والملح شيئا أحدهما المرفقة والآخر اللبن وأنشدوا لشتيم بن خويلد

الغزاري

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده

وأنشدوا في قول أبي الطمجان

واني لارجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبر

وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم اللبن كأنه يقول كنتم مهازيل
والمهزول يتعشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم « قال ابن السعيد
البطليوسي ولأنهم كانوا يتحالفون على النار ذكر اعشى بكر النار عند المحالفة
في قصيدته التي امتدح بها المخلق حيث قال

لعمري قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق

رضيعي لبان ندى أم تحالفا باسحهم داج عوض لا تتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلتدون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته
(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل
وأهله بالهدم لأنهم كانوا أهل نجمة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم
فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدم كالتقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا
الهدم وهو البيت المهدم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمي هدمك أي رحلتني
مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب (كانها هدم في الجفر منقاض)

وعلى العسكري تحالفهم على النار بأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان. وأرى أن حلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة الجوسية سرى اليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال في العقد الفريد في بيت الاعشى المتقدم « قوله تقاسما باسم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شئ تفعله الفرس لا يتفرقوا أبد الدهر » فإذا كان تحالفهم على الرماد الذي هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على النار جاءهم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

﴿ الدعاء ﴾

العربي كسكل إنسان ذي دين إذا نزل به مكروه لجأ إلى معبوده في كشف الضر عنه وإذا أصابه قوى بمصيبة تضرع لبارئه أن ينتقم له ممن ظلمه وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعي وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدى وذلك أنه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله إن فينا اسلما فابعث إلينا من يفقهوننا في الدين فبعث اليهم ستة نفر منهم خبيب بن عدى فعدروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسير من هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه فأقام في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ثم خرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بحربة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال : اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيت يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عابه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

﴿ الصابئون ﴾

ينسب الصابئون دينهم إلى سيدنا نوح وإلى إبراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن ادريس ومنهم عبدة الاصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الالهى بعد أن مزجته بالعقائيات يتوجهون في عبادتهم للقطب الشمالى ويصلون ثمانى ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروقى وخمسا وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون في كل ركعة منها ثلاث سجادات بلا انحناء ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون في كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلا كها وسبعة أيام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام في أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا في هياكلهم ومعابدهم للسنة والفقراء ويعظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال في الاجرام السفلية ويمنعون توريث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهمون من المجرادات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا في هذه الدار ولا في الدار الآخرة وحرهوا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل كل لحمه وكلاهما ثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة في كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التي لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتل عند دفنه والآخر يحرمه الى غير ذلك من الفروع ثم اشتغلوا بالالهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى في الامم
 الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك في قوله (ان الذين آمنوا
 والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
 فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في آية الوعد
 بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيد حكم عليهم
 بالفصل بينهم في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
 والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة
 وهم فرق فصابئة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون
 محاسن ما عليه اهل الممل والنحل من غير تقييد بجملة ومنهم من يقر بالنبوات
 جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها
 جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يعبدون الله بالتقرب للكواكب والعلويات بأنواع
 للعبادة من التضرع والابتهاج بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور
 والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل
 للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكواكب

عبادتهم الكواكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكواكب نظر المتقدمين من علماء النجوم
 من حيث تأثير الكواكب في هذا العالم فجمعوا الموجودات الارضية أثرا
 للشمس عند قوم والكواكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة
 ترى الكواكب مدبرة لهذا العالم وعنهما يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة
 ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكواكب من التثايت والتسدیس والتربيع
 ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة
 من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهى فاعتقد التأثير
 للكواكب وهؤلاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهب الى أن الكواكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى تخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب
آلهة و لكل منها عمل قائم به في هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره و انها
أبدية الوجود أزلية الاولية تجري أحكامها لا لغاية (والفرقة الثالثة) ترى
أن لهذه الكواكب و الافلاك الهأ مبدعا أعطاهها قدرة و ارادة ذاتية نافذة
في هذا العالم و فوض اليها تدبيره و هذه العوائف كان لها عصبيات في بلاد

طوائف بعضها

العرب فدانت العرب بهذا الدين و اعتقدته و بنوا الهياكل العظيمة للشمس
و قربوا لها القرابين و حججوا اليها و ذبحوا لها الذبائح و اعتكفوا عندها خاضعين
عابدين و أول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت
سدودهم و تحربت أراضيهم تفرقوا في بلاد العرب و قبائلها فانتشروا دينهم في القبائل
التي نزلوا بها أو جاوروها و البطون التي سكنوا معها و عاشروها حتى شاع في
بلاد العرب و انتقل منها الى مجاورهم أهل الحبشة و الشام و من قبائل سبأ قوم
بليقيس و قد حكى القرآن حديث الهدهد لسيدنا سليمان عبادتها و قومها في قوله
« و جئتك من سبأ نبيا يقين اني وجدت امرأة تملكهم و او تيت من كل شيء و لها
عرش عظيم و جدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان
أعمالهم فصدتهم عن السبيل فهم لا يهتدون » و عبت ثمود الشمس و كانوا بين
الحجاز و الشام بأرض الحجر فدعاهم صالح لعبادة الله تعالى و هدم هياكل الشمس
فما آمن به الا قليل . و أخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند
شروقها و عند غروبها و عند توسطها السماء فلماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً و سداً لتدريسة الشرك
و بعض كتمانة كانت تعبد القمر و الدبران و بنو لخم و جرهم كانوا يسجدون

للعشترى و من العرب من عبد عطار و بنو طيبي عبد بعضهم سهيلاً و بعضهم
التريا و هي عدة كواكب مجتمعة و بعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كهنبر
(و المرزمان نجمان مع الشعريين يسمى أحدهما كف الكاب و هو يتبع الشعري
العبور و ثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبي الدراع) و طائفة من تميم
عبدوا الدبران و بعض قبائل لخم و خزاعة و قريش عبدوا الشعري العبور

١٨٠ ب

وهي الشعرى البرانية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء
ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبينا عليه السلام فلما
بعث الرسول وخالف العرب في عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبي كبشة (١)
لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لقومه في عبادة الشعرى

قال ابن قتيبة « وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا
بها وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها
وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى
عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أي شبهه ومثله »
وخص الله الشعرى بالذكر في قوله : وانه هو رب الشعرى اما لعبادة كثير
منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة في مخالفته دين
قومه فانه يخالفه في أن دين أبي كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى
أما آثار عبادتهم للسكران فتمت تسميتهم أنفسهم بأسماء مضافة لها
بالعبودية كعبد شمس وعبد المشتري فان ذلك دليل على عبادتهم لها ومنها
تسميتهم للشمس بالالهة والالاهة قال الشاعر

تروحنا من اللعياء عصرا واعجلنا الالهة أن تؤوبا (٢)

قال الفارسي سموها الالهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهى
الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه في العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده
بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا
للشمس ولللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »

(١) في القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبي كبشة شبهوه بأبي كبشة
رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان أو هي كنية وهب بن عبد مناف
جده صلى الله عليه وسلم من قبيل أمه لانه كان نزع اليه في الشبه أو كنية
زوج حليلة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحنا سرنا وقت الرواح وهو
العشى أو من الزوال الى الليل (اللعياء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام إذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس أبدليني بها سنا أحسن منها ولتجر في ظلمها أياتك أو يقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقح كأقح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاشر (١)

وقال طرفة بن العبد البكري يصف ثغر محبوبته
سقطه آية الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأتمد (٢)

وقال آخر
وأشذب واضح عذب الثنايا كأن رضا به صافي المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام

وقال آخر
بذى أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا
ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم في الجاهلية والعبد يطلب من معبوده سؤله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبده بسنه التي سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امثل أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التي (١) أشر الاسنان التحزير الذي يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت المرأة أسنانها حزرتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أي ثغرها براق الالثناته فانها حواء و (أسف) ذر عليه و (الاثمد) الكحل و (اللاث) اللحم الذي تنبت فيه الاسنان و (آية الشمس) ضوءها و (لم تكدم) لم تعض و (بأتمد) متعلق بأسف أي ذر الاثمد على اللثة والشفاه وكانت تلك عاداتهم التي يستحبونها

لا يفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه المادة عن السلف فمن الولدان اليوم
من اذا سقطت سنه رمى بها في عين الشمس وقال « يا شمس يا شمسة خذي سنة
الحمار وهاتي سنة العروسة »

﴿ المجوسية والزندقة ﴾

المجوس يعتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا في كتب الحكماء مقتصرين
على مبحثي التكوين والخير والشر فنظروا في مبحث التكوين الى انفصال الحرارة
التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة
لبطن الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى
وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التي
هى بنت الحرارة المقابلة عندهم للقدره الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر
الآله وفيها صفته التكوينية دالاعلى معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف
الرؤساء الدينيين فى هذا الاصل اختلفوا فى الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم
أن النار معبود قائم بذاته ونظر قداماؤهم فى مبحث الخير والشر لقول الحكماء
ان البارى بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكبر عنه لانه لو صدر
الخير والشر عنه لكان عين التكبر فى امكانه وهو باطل فقلوا بوجود فاعلين
أزليين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثانى الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما
نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثانى فلام ومبدأ الشر
كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت
الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لاعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت
الخيرات واليه يضرع الانسان فى طلب الخير لنفسه ولأحبائه وهؤلاء هم الثنوية
وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كنفها صورتا الخير
والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل
القول بألهى النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى النور
والظلام وان الشر فى العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الأموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه في مكان ظلمة وعذاب أبدي ،
 أما ملك النور وأتباعه فيتنعمون خالدين في مكان نور وسعادة وشرع لهم
 شرائع مدونة في مجلدات والمجوس تقر بنبوته وأتباعه هم الزرادشتية ولم يكن
 لهمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لأنهم يزعمون أنها مسكن الإله
 وللنار لمشايتها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهياكل حتى لا يمنعمهم
 مزاج الفلك عن العبادة في أي وقت وجدد لهم بيوت النيران التي أخذها
 منوشهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله في سحابة لامعة وسمع صوته
 ثم هبط منها بقبس من النار اشعلت به النار المقدسة التي في هياكلهم ولا يجوزون
 للكهنة تفخها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا
 وعلى وجوههم براقع لئلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليلا ولا نهارا
 ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لا تجدد الا من نار هيكل آخر .
 وهو الذي شرع لهم عيد النيروز أي اليوم الجديد في الاعتدال الربيعي وعيد
 المهرجان أي الخريف في الاعتدال الخريفي . ولما ظهر مزدك الخارجى في أيام قباز
 ابن فيروز بن بزجرد زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم
 والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء
 حتى لا يكون لاحد على احد فضل في شئ . وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى
 ذاك وكذا في العبيد والاماء والاموال فكفر أتباعه وعظم شأنه ، وكان مما
 شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الانسان في طعامه بما تنبت الارض وما
 يتولد من الحيوان كالبيض والابن والسمن والجبن وأتباعه هم المزدكية .

وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية في تيم
 منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم
 (١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن
 حسان كان مجوسيا . »

(١) ندم لان زواج البنات كان من الفواحش عند قريش في الجاهلية

(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفي تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وقتل وهي زوج له فقال في ذلك

يا ليت شعري عنك دختنوس اذا أتاها الخبر المرموس
أتخلق القرون أو تميس لا بل تميس انها عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخي في كتابه البدء والتاريخ (كانت المزدكية والمجوسية في تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلقهم بالرماد والنار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة في كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية وكانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة . وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل في قريش وقال ابن الاثير في تاريخه وفي أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الي ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك نجد الي ذلك فأجابه فاستعمله على الحيرة وطارد المنذر من مملكته وفي القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة) وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكراي يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن الكمال ماذهب اليه القاموس من انه معرب ذن دين وقال ان زندا اسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية ونقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاه وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر ووكّل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت وسمى تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت في عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من الثنوية أو المرذكية أو الزرادشتية بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كانت مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لاخذها من الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿ الموحدون من العرب ﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين سماوى أو غير سماوى مشركين يعبدون الاصنام الا من أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وحدثوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم او بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا نخلي كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تبع الاول) و (خالد بن سنان العبسى) و (حنظلة بن صفوان) و ذكرت خبرهم في المختلف في نبوتهم من العرب ومنهم (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالمزى) وقد خلص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويمكفون عنده ويدرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد اخطأوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لاتقسكم فانكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الخنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واماعثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميثة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى في صحيحه بسنده قال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى «أى زيد» أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

(١) بلدح مكان في طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى في المناقب وروايته في باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها وجمع ابن المنير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفارة للنبي فقدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلي فان قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس في الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أكل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميثة لا بتحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك في الاسلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أكل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأكل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل في تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح في هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض السكالا ثم تذبجونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له . قال موسى حدثني سالم بن عبد الله ولا اعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيدا بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال اني لعلى ان ادين دينكم فاخبرني فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا احمل من غضب الله شيئا أبدا واني استطيعه فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفا قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله فقال ان تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا احمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا وانا أستطيعه فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم اني أشهد اني على دين ابراهيم . وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت رأيت زيدا بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحيى المؤودة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيتها مؤنتها فياخذها فاذا ترعرعت قال لا يبها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو اني أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيد يأكل الميتة ولا الدم وهو القائل
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الارض تحمل صخرها ثقلا

دحاها فلما رأها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
 وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا إزالالا
 اذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا
 ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار
 يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فخال الشام
 كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية
 بأنه قد اظل زمان بنى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سر يعاير يد
 مكة حتى اذا توسط بلاد ظم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه
 رشدت وانعمت ابن عمرو وانما (١) تجنبت تنورا من النار حاميا
 بدينك ربا ليس رب كمثلها وتركك أو نان الطواغى كاهيا
 وادراكك الدين الذى قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
 فأصبحت فى دار كريم مقامها تعلق فيها بالكرامة لاهيا
 ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل فى الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والختوم (٢)
 (ومنهم قس بن ساعدة الايادى) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب
 وعمر طويلا وسمعه النبي عليه السلام قبل البعثة بعكاظ يقول فى خطبته
 ايها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات
 فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء ظبرا وان فى الارض لعبرا مهادموضوع
 وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لن تغور ليل داج وسما ذات أبراج
 أقسم قس قسما حتما ان لله ديننا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى
 أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم
 (سحنة بن خلف الجرهمى) وقدمنا قوله فى لوم عمرو بن لحي على وضع الاوثان
 حول الكعبة وحمله العرب على عبادتها ومنهم « المتأس بن أمية

(١) رشدت وأنعمت أى رشدت وبالغت فى الرشد كما يقال أمعنت

فى النظر وأنعمته (٢) الختوم الاقضية

الكناني) وكان يخطب بفناء الكعبة ويقول أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذلك قال انكم تفردتم بالهة شتى واني لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الالهة وانه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بني تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤي وقصى وعبد مناف وهاشم وعبدالمطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه في كل يوم جمعة فيحتمهم على صلة الارحام وحفظ العهد ومراعاة حق القرابة والتصدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكروهم بالموت وأهواله وينبئهم ببعثة رسول من عند الله وأما «قصي» فكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويخبر قومه ببعثة نبي ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبد مناف) فكان يبغض الاصنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فكان يؤدي الحقوق ويحمل ابن السبيل وبجانب عبادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقد منا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليه في قصة الفيل ومن الموحدين (وكعب بن سلمة بن زهير بن أياد) وكانت له ولاية أمر البيت بعد جرهم وبني صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها جزورة وبها سميت جزورة مكة وجعل في الصرح سلما فكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفكر في ملكوت السموات والارض والعرب يعدونه من الصديقين ومن أقواله مرضعة أوظامة ووادعة أوقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام. ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من في الارض عبيد لمن في السماء هلكت جرهم وربلت اياد وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايادا فقال لهم أسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة. ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادي

ونحن أياد عبيد الاله ورهط مناجيه في سلم

ونحن ولادة حجاب العتيق زمان النخاع على جرهم (١)

(١) هلك من جرهم بداء النخاع ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشبان

وممنهم (قيس بن نسيبة) قال فيه ابن سيده في المخصص كان منجما متفلسفا واعداء
بيعتة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام أتاه فقال يا محمد ما كحلته فقال
السماء فقال وما كحلته فقال الارض فأمن به وقال لا يعرف هذا الا نبي
وقال حين آمن

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتى ولدينى
مازلت آمله وأرغب وقته والله قدر أنه يهدينى
وممنهم (عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وروى له الشهرستاني في الممل قوله
أدعوك يا ربى بما أنت أهله دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى بدأت خلق الناس فى أكنم العدم
وأنت الذى أحلمتنى غيب ظلمة الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم
وممنهم (علان بن شهاب التميمي) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب باحسن الاعمال
وممنهم زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم
والقدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءت
به الحنيفية فى قوله

فلا تسكتعن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فى موضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وممنهم (عبد الله بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وكان يهيج فى دياناته منهج الحنيفية
وممنهم عبيد بن الابرس الاسدى القائل

ولتأتين قبلى قرون حمة ترى مخارم أيكه ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا
وممنهم (عامر بن القزرب العدواني) وقد منا قوله فى البعث ومنهم (سيف بن ذى يزن)
وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنهم (أبو قيس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بني النجار وكان تهرب ولبس المسوح وقارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخله طامت ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال في الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال

يا بني الارحام لا تقطموها وصلوها قصيرة من طوال

ومنهم (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن صه ان أمية نظر في الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا في النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنهم (النايعة الجعدى حسان بن تيسر بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وأذكر في الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال في الجاهلية قصيدته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لعواقبها ولما جاء الاسلام وفد على النبي وأسلم فحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هي الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوك ونشأت هذه الديانة في مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بعصاه البحر فانشق فجاوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طور سيناء بعد خمسة وأربعين يوماً من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضي المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت
العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا
فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطلت الشام أو بعث اليها بعثنا
فأعلمك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم
الا يستبقوا أحدا منهم بل بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلوا حتى
انتهوا الى ملكهم الارقم بن أبي الارقم فقتلوه وأصابوا ابنا له وكان شادا
من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى تقدم به على نبي
الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى
قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقواهم فسألواهم فأخبرواهم بالفتح وقالوا
لم نستبق منهم الا هذا الفتى فاننا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى تقدم به
على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان
هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا
فقال الجيش ما بلد اذ منعمت بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه وكان هذا
أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفي الروض الانف عن أبي الفرج
الاصهباني ان السبب في كون اليهود بالمدينة وهي وسط أرض العرب مع أن
اليهود أصلهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض
الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك
الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكر نحو ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا
لبعد عمر موسى عليه السلام وذكر الطبري ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين
وطى بختنصر بلادهم بالشام وخرب بيت المقدس وذكر صاحب كتاب وفاق الوفا
اليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والنحام وهدل . وفي خطط
المقريزي ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل
نبي بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفي كتاب وفاق الوفا
بإخبار دار المصطفى « وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب
نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفي دينهم ألا يزوجوا النصارى فخافوه وأنعموا له وسألوه ان يشرفهم باتيانهم اليهم فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم في طلبهم فاعجزوا رسله «

أما الذي ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبسع الاصغر أبو كرب تبان اسمعذ وقد منا خبر ذلك عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت اورشليم على عهد طيطوس في القرن الاول للميلاد نزع كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنو نمير وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم في تيماء ويثرب وخيبر

ولم تتغلب اليهودية على الوثنية في بلاد العرب لان كثيراً من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربي ولانها وان اباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربي الا انها لا تبسح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها والعربي انما يقاتل لينتقم من عدوه في نفسه وينتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابنها في الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود . وكأنت من نساءهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر ليبيد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلاً غلب عليه النعاس يلمس الاحلاس في منزله يبيديه كاليهودى المصل (١)

(١) فاعل يلمس : ضمير المجهود في البيت قبله وهو (ومجود من صبايات الكرى) والمجود الذي جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام و (الاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادي في خزنة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطومى
في شرحه كانه يهودى يصلى في جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى
يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن
تسجدوا واما أن يلقي عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم
الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

﴿ النصرانية ﴾

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصره اول قرية بث فيها
عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال للمسيح الناصرى
ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما اول
من دعا اليها في بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها في الشام
فاعتنقها كثير من عرب الشام وفي بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس
في القرن الثالث للميلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفي
القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعا للنصرانية فتنصرت
زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفي تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان
تنصروا في أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ،
(يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من
مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل في الدين واستقامة
أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من
بقية اصحاب الحواريين) وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيل الايبيلين
والايبيل « الراهب أو الناسك والزاهد في الدنيا » وشاهده قول عمرو بن
عبد الجن .

أما والدماء المائرات تخالها على قمة العزى وبالنمر عند ما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس (٢) نسرصنم و« المائرات »
المترددات من مار الدم على وجه الارض يمور اذا تردد و(قمة العزى) اعلاها
و(العندم) البقم ودم الاخوين

وما سبح الرهبان في كل ليلة أيل الابلين المسيح بن مريم (١)
 لقد هزمني عامر يوم لملع حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)
 وكان ولدان النصارى يتبركون بالراهب الذي يجي من بيت المقدس ويمسحه
 الذي هو لابسه وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاعده قول امرئ القيس
 الكندي يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدر كنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)
 وكانت النصرانية تقيم اعيادها في بلاد العرب فمنها يوم السباسب ويسمونه
 يوم السعانيين . ويقال شعانين وعيد الفصح وهو ما يتقدم عليه صوم الاربعين
 أنشد سيويوه لبعض العرب

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام
 وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رمحه ويشبه سنانه
 بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح

عليه كعباح العزيز يشبه بفصح ويحشوه الذبال المفتلا
 وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح

بكرروا على بسحرة فصبحتهم بأناه ذى كرم كقعب الحالب
 بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب
 ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده في المختص عن ابن دريد . وكانت
 الراهبات تلبس في الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس
 يصف سربا من بقر الوحش

فآنت سرباً من بعيد كأنه رواهب عيد في ملاء مهذب
 ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية في بلاد العرب لان
 تعاليمها تبين اخلاقهم الغريزية فمن العرب يرضى اذا ضربته على خده

(١) سبح أى نزه وسمى الراهب أبيلا لتأبله وبعده عن النساء
 (٢) يريد أن عامراً وجدته حساما ذلك اليوم و« صمم » مضى يقال
 صمم الرجل في الامر اذا جد فيه (٣) شبرق جلده أى قطعه

الايمن ان يدبر لك خده الايسر لتصفعه عليه مرة أخرى بل لقد النصرارى العرب
 فى كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتصرون ألا أنهم كانوا يقفون
 فى الحج فى بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة
 وكان فى بطن محسر الذى كان موقف النصرارى قول شاعر جاهلى
 اليك تعدو قلقاً وضيئها معترضاً فى بطنها جنينها
 مخالفاً دين النصرارى دينها

يشير الى الناقة التى كان راكبها فى مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون
 الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها
 من صور الملائكة والانبياء كموسى وابراهيم . وكانوا لا يذكرون اسم الله
 على الذبيحة يقدلون فى ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية فى
 شتم الغارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه فى ظل رحمة ولذلك
 لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن
 تسير فى قومك بالمرباع . فقال عدى ، بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن
 يحل لك فى دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يحل
 غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى النخلى النصرانى
 فى قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصرارى لا تخوض الى دم
 وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ربيعة وبعض قضاة وكأنهم
 تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثرون التردد الى بلادهم للتجارة والفساسنة
 بالشام لمجاورتهم نصرارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ
 وحمير وطيبه وشاعت النصرانية فى قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد بكسر
 العين وتخفيف الباء « منهم عدى بن زيد العبادى . وتنصر ملوك الحيرة على
 عهد امرىء القيس الاول ابن عمرو فى أوائل القرن الرابع على قول . وقيل
 ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس . وفى سجل
 الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حمى النصرانية سنة «٤٢٠» ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا في أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بني آدم الى العزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها فنشأ نصرانياً . ويستظهر بعضهم أن النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور . فلما مات عاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدى بن زيد العبادى كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعى اسقف اورفا سنة ٩٢٨ وم اليعقوبيون ونسب هذا المذهب ليعقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعتى المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة في بعض أمكنة من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائي شيوعها بين ناب ودارة في قوله

وانى لمزج لمعطى على الوجا وما انا من خلانك ابنة عفزرا
ومازلت أسمى بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت أن اتنصرا
والعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصارى مع
نقله له قوله خفت أن اتنصراى خفت الدخول في دين النصارى وذلك منه كثير
فقد عد طرفه بن العبد والمتلمس نصرانيين مع نقله حلف طرفه بالنصب في قوله
فأقسمت عند النصب انى لهالك بمتلفة ليست بغبط ولا خفض
ونقله حلف المتلمس بالانصاب في قوله في هجاء عمرو بن هند
اطردتنى حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تتل
وعد أعشى قيس في النصارى مع نقله قوله يخاطب ناقته من قصيدة يمدح
بها سيدنا رسول الله .
وآليت لا أرثى لها من كلاله ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدنا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من مكارمه يدا

﴿ الاسلام ﴾

كانت العرب في الجاهلية في شر حال من الاضطراب والفوضى سواء في ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرها فكانت النفوس في كل حين عرضة للسفك والاموال في كل وقت معرضة للسلب والنهب لانهم كانوا شعوباً وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستعداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ أو لهفوة لم يتناولها الصفع ولم يغفرها العفو وكانوا يورثون ابنائهم الاحقاد وناهيك بحرب داحش والغبراء التي لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرمى فيه سهم عن كبد قوس أو يجرد فيه حسام من غمد وكان الصعاليك المدلون بقوتهم يؤلقون عصابتهم للغارة على المراعى لسلب الانعام ورعاتها أو على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم لنهب ما بها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاعلال وجزاؤهم القتل أو الفداء أو قتلوا من رجال وولدان أو استذلوا أو باعوا أرقاء وكان الفتى المدل بقوته أو بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصبيه حسنها فيختطفها من أبيها أو أخيها أو غيرها ولو كانت في مدينة أهلة بالسكان بلا حياء ولا خجل كأنما يفعل امراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً في حاف الفضول وناهيك بقوم بلغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البقاء يبتغون عرض الحياة الدنيا ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البنى ويقف في سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهزاً لسنوح الفرصة للاخذ بثأرهم غدرًا وان كانوا أقوياء اسرفوا في القتل فرموا بظنة واحد العدد العديد والجماء الغفير قال شاعرهم

قتلنا سبعة بأبي لبيني وألحقنا الموالى بالصميم (١)
 حتى قال مهلهل بن ربيعة وهو يثار لآخيه كليب لبجير بن الحارث بن
 عباد وهو يقتله وكان غلاماً يؤبشع نعل كليب فقال له بجيران رضيت بذلك
 بنو ضبيعة بن قيس رضيت فلما بلغ الحارث مقتله ولم يكن دخل في حربهم
 قال نعم الغلام غلام اصلح بين ابني وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهلهل
 اذ قتله فغضب وأدخل يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة منى لتحت حرب وائل عن حيال (٢)
 لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ط كليب تزاجروا عن ضلال
 قربا مربط النعامة منى ان قتل الغلام بالشسع غالى
 لم أكن من جناتها علم الا واني بجرها اليوم صالى

أما سياستهم للبيت فكانت أشد خرقاً وآلم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون
 بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدكم أن ولدت
 امرأته في غيبته بنتاً فخبأتها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى
 اذا ترعرت واصبح مثلها قررة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ابيها
 وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدها احضرتها من مكانها وقد
 زينتها وقدمتها لابيها فسألها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتهزاً فرصة غفلة
 أمها حتى اذا سنحت أخذ الفتاة فخر لها حفرة ودفنها فيها حية وهي تمسح
 التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبتي ذلك صنعهم بالبنات وهن
 برد الا كباد ومسرة الفؤاد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والمعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم
 انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه
 على بعير تقور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء في امثالهم (أهون هالك

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و(لتحت)
 حملت و (الحيال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضربه مثلاً لما تولد عن الحرب
 وانتج منها من الامور التي لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقاد به البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز في سنة جذب) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فما قدمناه في هذا الكتاب تعلم ان الدهماء منهم قد انغمسوا في عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم في احكام العقل أن اتخذوا الها من حيس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالازلام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطا غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا في الحج للاصنام وأشركوها في التلبية وجعلوا صلواتهم عند البيت الحرام وهي التي شرعها الله في دين ابراهيم خالصة لله وخضوعا له مكاء وتصدية (١) ولم تكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيرا من اختهما الحنيفية. أما اليهودية فقد عبثت بها أيدي الاحبار بحرفون فيها الكلم عن مواضعه ففيروا كثيرا من الاحكام التي شرعها الله بالحيل التي استحلوها والاهواء التي ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا غزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأي والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وهم الذين وصفهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين). أما النصرانية فقد انحطت في بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله همدا على

(١) مكاء الرجل يمكؤ اذا جمع بين يديه وصفرفيهما (التصدية) التصفيق قال ابن عطية والذي مر بي من اثر العرب في غير ما ديوان ان المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفقون ويصفرون

الذبيحة مجازاة للمشركين واتخذوا في كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين في المسيحية كما اتخذوا الصنم كعيباً في كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لا تناسب اخلاق العربي الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لا يعرف القعود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذنين وصنع الصافعين فبذأوا سرها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها . نبذوا على اختلاف اديانهم الاوامر الالهية فاكلوا الربا أضغافاً مضاعفة وعدوا شرب الخمر ولعب الميسر من مفاخرهم التي يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالاً منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام . جاء الاسلام ينشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويفهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحها ولا تصلح الا بصلاحه (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بمضه بعضه) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سعادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد اداؤه والقيام به من الواجبات التي فيها صلاحه وحياة المجتمع وبت في النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى في أحوال الخلفاء في الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه في أمة من الامم ولا في شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعل لها وحدها حق التصرف في مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل في التكليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا في الاحكام التي لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو الامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدى لمعرفة ذلك يراه مفصلاً في الكتب التي تبين اسرار التشريع . نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمراً إذا فقال (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال واذا بشر احدكم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم

كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان اليها . احاط الاسلام الرق بسياج يحميه من عبث العابثين وسلب السالبين فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الي عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتي جعله قربة القرب وكفارة لظهور بها النفوس وتغسل بها أدران الذنوب فجعل العتق واجبا في كفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايما مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله تعالى بكل عضو منه عضوا منه من النار ، سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم يميز جنسا من الاجناس البشرية على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء ليرفعوا عن رهوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد وفضى على التعاليم التي ابتدعتها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد وربّه فاجتث بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك الوسيط بأنواع التعظيم وبمات له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين ولا نص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول علي احد ومقصورا علي طائفة نطاع فيما تدعيه ديننا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه واحترمه وامر بالنظر والتفكر ففرق بذلك حجب الاوهام التي اسد لها رؤساء الدين علي اهل اذ زعموا ان الدين عدو العقل وما يشمره العقل الا ما كان تفسير الكتاب منزل * جعل الاخلاق مصدر حياة الامم والشر في بقائها قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يجعلوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطييبا لنفوسهم وسدا لعوزهم وعطفا على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والضغينة على الاغنياء . لم يترك الاسلام افضيلة من الفضائل الا أمر بها ولاسنة من سنن الترقى والاصلاح الاقررها ولا رزية يعود وبالها على المجتمع الا نهى عنها وقبحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجددها وجردها من الوثنية التي أبلت محاسنها وغيرت معالمها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن في غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة ولانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كرونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) والآيات في ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعها فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليه بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن ونصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى مجيء الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الآلهيات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أمهات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والعبادات التي شرعت في دين ابراهيم بعد أن جردها من الوثنية التي العتقت بها وهذا مرما تراه من موافقة الاسلام للاحكام التي كان العرب عليها وذكرناها مفصلة في هذا الكتاب . لم يقف الاسلام عندما شرع في دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التي

افتضاها الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضى التي فتكت بها
 أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل
 أمة لا يزيد رقي العقول في المدنية إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعية
 والكونية الا لتضم برهانا بعد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف
 لا يكون كذلك وهو الدين الخالد التالد الذي أراد الله أن يتعبد به الخلق
 الي قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول
 الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر
 رمضان المعظم سنة ثلثمائة وواحد وأربعين بعد الالف من الهجرة
 للشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست الكتاب ﴾

٨٩	الصلاة على الميت	٤	مقدمة
٩٠	سرير الميت	٧	ابراهيم واسماعيل
٩١	تشيعم الجنازة	١٣	المختلف في نبوتهم من العرب
٩٢	قولهم للجنازة	١٦ ✓	الحرم ومكانته عند العرب
٩٢	مقابرهم	٢١	حلف الفضول
٩٥	حجى القبر	٢٦ ✓	بناء الكعبة وكسوتها
٩٥ ✓	نضح القبر بالخر	٣٢	تعظيم المعجم والعرب للكعبة
٩٦	السقا للقبر	٣٧	الاربعة الاشهر الحرم والبسل
٩٨	العقر على القبر ونضحه بالدماء	٤٣	النسيء
١٠٥	العقر للضيافة نيابة عن الميت	٤٧ ✓	الحج . احكام الاحرام به . الخمس
١٠٦	اتخاذ البلدية	٥٢ ✓	التلبية . الطواف بالبيت . السعى
١٠٧	قولهم للميت لا تبعد		الوقوف بعرفة
١٠	ممتقداتهم الدينية ←	٦١ ✓	الزول بمزدلفة ومنى وبقية اعمال
١١١	الانبياء والرسل		الحج من سوق الهدى والنحر
١١٢	البعث والحساب		والحلق ورعي الجمار والطواف
١١٤	الايمان بالقدر	٦٨ ✓	العمرة
١١٤	خالق افعال الانسان	٧٠	الطهارة - الصلاة - الزكاة
١١٥	التناسخ		الصوم - الاعتكاف
١١٦	المسخ	٧٥ ✓	الاستسقاء بالدعاء والنار
١١٧ ✓	احكامهم الدينية	٨١	النذر
١٢١ ✓	الختان	٨٤	ذبح الظبي في نذر الشاة
١٢٢ ✓	الدين الفتشى	٨٥ ✓	ما يفعلونه للموتى
١٢٣ ✓	عبادة الحيوان	٨٥	نعي الميت
١٢٤ ✓	عبادة الانسان	٨٧	غسل الميت
١٢٥ ✓	عبادة الملائكة والجن	٨٧	تحنيط الميت
١٢٧ ✓	عبادتهم للاشجار	٨٨	كفن الميت

* تابع الفهرست *

الصابئون	١٨٤ ✓	الوثنية في العرب	١٢٨ ✓
عبادتهم للكواكب واثار عبادتهم لها	١٨٦ ✓	اصنام العرب وبيوت عبادتها	١٣٢ ✓
المجوسية	١٩٠ ✓	كثرة الاصنام	١٥٥
الموحدون من العرب	١٩٣	عبادة الاصنام وما يتقرب به لها	١٥٨
<u>اليهودية</u>	١٩٩ ✓	الاستقسام بالازلام	١٦٨
النصرانية	٢٠٢ ✓	الاقسام	١٧٢
الاسلام	٢٠٦	التحالف	١٨٠
		الدعاء	١٨٤

(الخطأ والصواب)

٢١٥

الصواب	الخطأ	سطر	صحيفة	الصواب	الخطأ	سطر	صحيفة
الجمهرة	الجمرة	٢١	١٢٥	وقولى	رفولى	١٠	١١
ملثوا	ملثوا	٣	١٢٩	فاقرئى	فاقرىء	٦	١٢
وكان	ركان	٢١	١٣٠	الانف	الانف	٢٤	١٣
يفقتون	يفقتون	١٧	١٣١	المثقى	المثقى	٢٢	٣٠
فقتوا	فقتوا	١٨	١٣١	يؤمروا	يأمروا	٦	٣٧
٢٠٨١	٢ ٨١	٤	١٣٢	طبيء	طبي	١٢	٣٧
واسكان	اسكان	٢٥	١٣٦	بغناه	بغناه	١١	٣٩
بصيفة	بصفة	٢٣	١٣٩	بجمع	يجمع	١٧	٤٧
الضيزن	الضيزن	١٤	١٤١	الازد	الارد	١	٥٨
عمب	عمب	٢٠	١٤١	بمزدانة	مزلفة	١١	٦١
يعوق	ولايعوق	١٠	١٤٤	انقرضوا	انقرضوا	١٣	٦٦
حول عوض	حوله	٩	١٤٦	ككتف	ككتف	٢٣	٦٧
سمت	سميت	٢٢	١٥٢	ابن	بن	١٦	٧٠
هاويل	هاويل	١٣	١٥٤	بالقطر	بالقطر	١٠	٧٩
موتدا	موتدا	١٦	١٥٥	جناهم	جناهم	١٠	٧٩
باسم	باسم	١٦	١٥٦	المختار	المختار	٢٢	٨٩
البطليوسى	البطليوسى	٤	١٧٦	الزوج	الزوج	٢٢	٩١
تستحلف	تستحلف	١	١٧٨	مؤنة	موتة	١١:٧	٩٧
يخاف	تخاف	٤	١٨٣	لاعقر فى	لاعقر	٥	١٠٣
تحالفت	يحالفت	٥	١٨٣	وأخذ	وأخذ	٢٤	١٠٥
العبادة	للعبادة	١٣	١٨٦	وانى	ونى	٤	١١٣
والاملاك	والاملاك	١٥	١٩١	المسخ	المسخ	١٦	١١٦
زن	ذن	٢٢	١٩٢	وحرمة	وحرم	٢٥	١١٩
وكبيع	وكبيع	١٣	١٩٧	السؤدد	السؤدد	١٩	١٢٢
التغلبى	التغلبى	٥١	٢٠٤	حببيهم	حببيهم	١٢	١٢٤

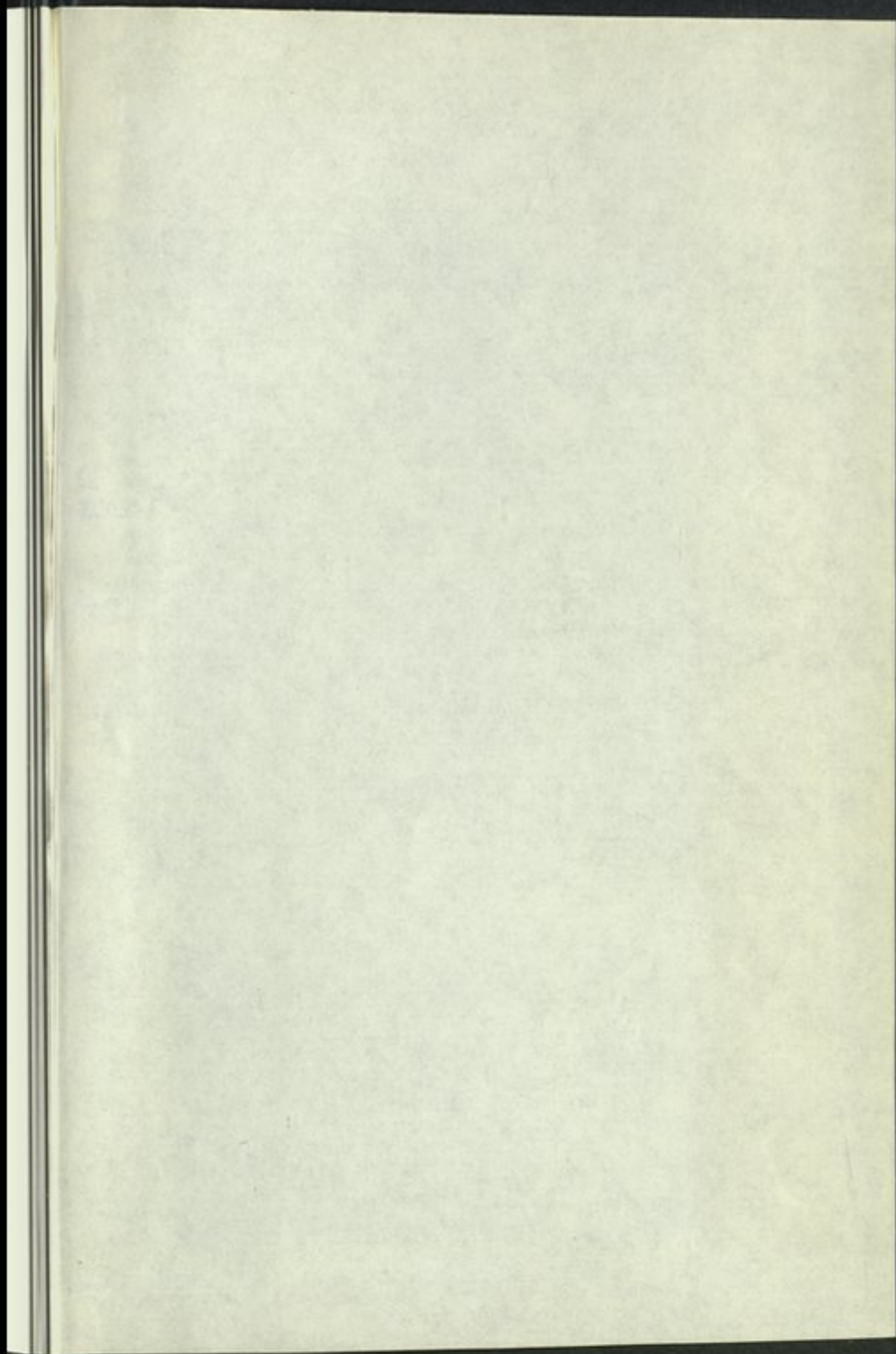
مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

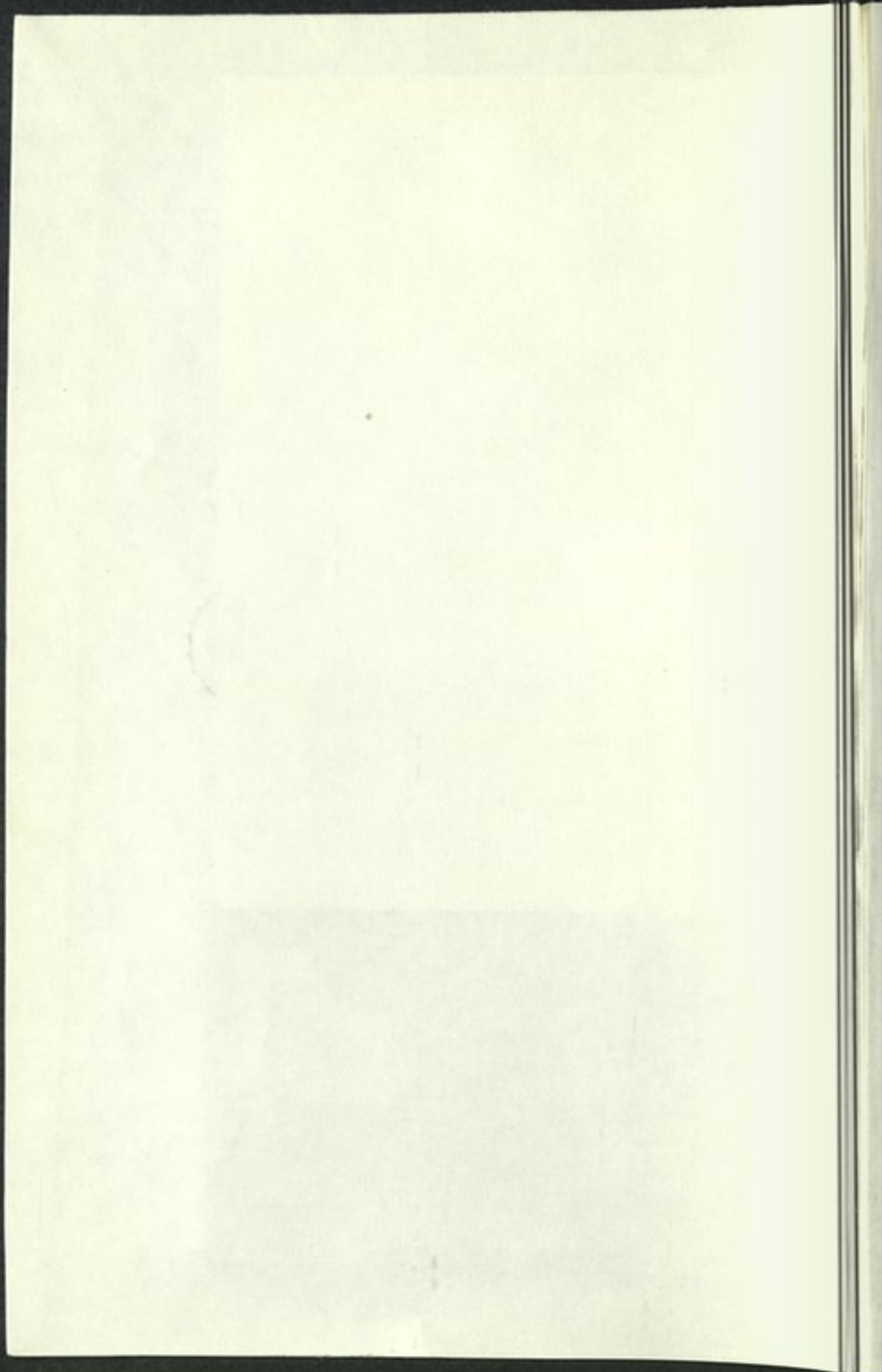
- (١) المرأة العربية في الجاهلية - كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب الجاهلية من المهد الى اللحد لجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثمانمائة صفة
- (٢) اللباب في علم الانساب - كتاب جمع انساب العرب في الجاهلية بأحسن ترتب
- (٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية في الحروب وعتهم لها
- (٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية
- (٥) رسالة في الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه
- (٦) كشف اللثام عن أشعار العوام - رسالة اسهب فيها الكلام على جملة الاوزان التي لم ترد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر وغيرها وبيان اوزانها
- (٧) رسالة في العلوم الموضوعية لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزائر وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها
- (٨) علوم العرب في الجاهلية - كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخذ وفن القصص - وعلم الريافة - وعلمى العروض والقافية - والشعر والحديث والوصايا - وعلم الالغاز - وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان - وعلم الشامات - وعلم الاسارب - وعلم الاختلاج - وعلم قيافة البشر والائر - وعلم نزول الغيث - وعلم تعبير الرؤيا - وعلم ايجاد نسل قوى جميل في اخلاقه وتناسب اعضائه - وعلم الكهانة - والطرق بالحصى - والعرافة - وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والفأل - وعلم الطب والجراحة - وفن الولادة والجنس - وعلم السحر والطلاسم - وعلم الانواء - وعلم الفلك - وعلم الموسيقى - وعلم الحساب وعلم الانساب - وعلم تقويم البلدان - وعلم الاهتداء في البرارى وعلم الميراث - وعلم ماوراء المادة وعلم ايام العرب - وعلم الرمي - وعلم الفلاحة وعلم الحيوان - وعلم الابل والخيل وهو نحو ثمانمائة صفحة

[The main body of the page is blank, showing only the texture and color of the aged paper.]

Handwritten text in a vertical column on the right edge of the page, possibly bleed-through from the reverse side. The characters are difficult to decipher but appear to be in a non-Latin script.

Small handwritten notes or markings on the right side of the page, including some faint numbers and symbols.





DATE DUE

JAFET LIB.
20 NOV 1993

25
1997
Mon Dept

JAFET LIB.
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
30 SEP 2009
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
29 FEB 2000
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
30 JUN 2001
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.
30 JUN 2000
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
30 JUN 2002
Circulation Dept. A

CA: 290:J37aA:c.1

الجارم، محمد نعمان

اديان العرب في الجاهلية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001801

CA

290
J37 a A

